المجتمع المصري في رواية "ذات" لصنع الله ابراهيم

بحث جامعي

لنيل شهادة ما قبل الدكتوراه

الباحث

محمد احمد جعفري

تحت إشراف

الدكتور محمد قطب الدين

مركز الدراسات العربية و الإفريقية

كلية دراسات اللغة و الأدب و الثقافة

جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي 110067

مركز الدراسات العربية والإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi - 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax : 91-11-2671 7525

DECLARATION

I declare that the dissertation entitled **"Egyptian Society in the Novel Zaat by Sonallah Ibrahim"** submitted by me in partial fulfillment of the requirements for the award of the degree of the **Master of Philosophy** of Jawaharlal Nehru University is my own work. The dissertation has not been submitted for any other degree of this university or any other university.

Mohd Ahmad Jafri

Research Scholar

CERTIFICATE

We recommend that this dissertation be placed before the examiners for evaluation.

Supervisor

Dr. Md Qutbuddin

CAAS/SLL&CS/JNU

Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

Chairperson

Prof. Rizwanur Rahman

CAAS/SLL&CS/JNU

Chairperson
Centre of Arabic and African Studies
SLL&CS, Annex Building
Jawaharlal Nehru University
New Delhi -110067

المقدمة

العلاقة بين الأدب والسياسة علاقة قوية ومستمرة ولا تزال تبقى قائمة ومستمرة على الدوام، فالسياسة حينا تسبق الأدب بأحداث مثل تقلبات الثورات، وحينا الثقافة والأدب يسبقون السياسة بالتطور والتمهيد كما تدل التجربات التاريخية -منذ الزمن القديم- علي هذة الحقيقة، وكلاهما من الأدب والسياسة يرتبطان بالواقع الاجتماعي وحياة الناس وواقعهم اليومي، وهذه العلاقة الوثيقة بين الأدب والسياسة تقوم على التطابق والاختلاف لكنه لا يستطيع أي أديب أن يخلو أدبه من تأثير السياسة فيه، فهو في كل حال يتأثر بها حتى لو كان بعيداً عن الانخراط فيها، وهكذا أدبه لا بدّ أن يلتقي بالسياسة حتى ولو كان يكتب عن الحب و الأدب والأنفعالات الإنسانية بمختلف أنواعه يلعب دوراً سياسياً مباشراً، أو غير مباشر في الحياة السياسية، ففضلاً عن كونه أداة في يد السطوة لتشكيل وعي المجتمع بما ينفع مصالح طبقة أو قوم معين، يجب عليه على النقيض، أن يصبح أداة لمقاومة استبداد السلطة بالحيلة في حين وعنوة في حين آخر فهو أيضاً أحد العناصر الرئيسية التي تشكل وجدان الأمم، ويساهم مع الآخرين، من أدوات التشكيل الحضاري في صياغة شخصيتها القومية وبلورة هويتها الثقافية، وهو يعتبر أحد المصادر الكليدية لدراسة الشعوب والملل، وتم وضع نظريات وأفكار عديدة تحدد علاقة الأدب بالسياسة ، ومنها ما يؤكد العلاقة بينهما ويجعلها لازمة ومنها ما ينكر هذه العلاقة التي تسيء إلى طبيعة الأدب والفن كما تذهب. ولقد تم الترويج في العقود الأخيرة للأفكار التي تنكر أن يكون الأدب مصدراً للدعوات الايديولوجية، وترويج مثل هذه الايدولوجية يؤثر علي المجتمعات تأثيرا سلبيا للغاية.

إن الكتاب والأدباء الذين يؤيدون النظرية التي تقول"الأدب من أجل الأدب" لا يساهمون إلا

في الأمية والجهل بين عامة الناس ويقطعون صلتهم بالواقع الاجتماعي والوعي السياسي ويمهدون الطريق للكتابة البيضاء التي لا تشي بأية علاقة بالمجتمع والتاريخ.

لعبت الرواية العربية الجديدة دورا هاما في تشكيل الحياة الثقافية العربية ويعتمد هذا التشكيل على حدث الناس فى خلال شخصيات ديناميكية و متفاعلة مع الأحداث والوسط الذى تدور فيه هذه الأحداث وتصل فى النهاية إلى نتيجة اجتماعيّة أو سياسيّة منطقية وهي تتكلم عن وقائع وأحداث الحياة لمعالجة الواقع الإنساني الإحباط النفسي والاجتماعي، من خلالها عبر المبدع العربى عن واقع مجتمعه، ويعود ذلك إلى سيطرة الأحداث والتحولات الاجتماعية والسياسية على المجتمع العربى منذ مطلع القرن العشرين وحتى الآن كما تعد الرواية مقياس الحرارة يقيس حرارة المجتمع لأنها تتشرب بملامح التيارات الفكرية التى يموج بها وتتكيف مع كل الأحوال، وتتعقب الأوضاع التى تحيط بالناس، هذا هو السبب هى تعد أعظم الوسائل التى يمكن من خلالها قراءة الأحوال الاجتماعية بجميع تفاصيلها وألوانها وأشكالها، الإطلاع على مواطن الخلل والألم فى مسيرة الإنسان اليومية.

تنتمي هذه الدراسة التى نحن بصددها بواقع المجتمع المصري المعاصر و الأحداث والتحولات الاجتماعية والسياسية في المجتمع المصري منذ عام 1952م إلى نهاية العقد الأخير من القرن العشرين من خلال قراءة الأحوال الاجتماعية بجميع تفاصيلها وألوانها، والوقوف على مواطن الخلل والألم فى حياة الإنسان اليومية واخترت بهذا الصدد رواية صنع الله البراهيم الشهيرة "ذات" التي تعد مزيجا رائعا بين التاريخ والأدب، وبين الحقيقة والخيال، وصنع الله إبراهيم فى كثير من الأعمال الأدبية يعكس أزمة المواطن العربى وإن المفهوم الذى يقدمه صنع الله إبراهيم يبدو أكثر اتساعًا ورحابة، بحيث يجعل الرواية فضاءً قادرًا على استيعاب حقائق السياسة فى مستوياته الشتات مباشرة أو فنية، أما رواية ذات

فهي مرآة صادقة لواقع مصر المعاصر ووثيقة تاريخية عظيمة في إطار أدبي رائع و يعد صنع الله إبراهيم من الروائيين الذين يربطون الرواية بالسياسة و التخيل الروائي بالنقد والمعرفة ويجمع بين السير الذاتي والتوثيق التاريخي و النقد الاجتماعي للنظام الرأسمالي و يتناول قضية الحرية والعدالة، فتسعى هذه الدراسة إلى رصد التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى أدب صنع الله إبراهيم مع التركيز الخاص علي روايته "ذات". ويتميز أسلوب صنع الله إبراهيم عن الآخرين من أدباء العرب، حيث يستخدم صنع الله إبراهيم العديد من المراجع التاريخية لتوثيق عمله الأدبي و"ذات" تمثل هذا الجانب تمثيلا كاملا و تستعرض الأحداث والوقائع التاريخية والاجتماعية من خلال الشهادات الصحفية والمجلية ، و رواية ذات هي تصور حياة إمرأة مصرية من الطبقة الوسطى خلال حكم الرؤساء الثلاثة جمال عبد الناصر و أنور السادات و حسني مبارك و ما حدث من تدهور وخراب للأوضاع الإقتصادية و الإنحطاط في أخلاق الناس و التعصب الطائفي و الصراع المذهبي.

يشتمل هذا البحث علي أربعة أبواب، الباب الأول يتناول حياة صنع الله إبراهيم وبيئته وأيدولوجيته وتأثير مختلف العوامل علي فكره وكتاباته وتشكيل أدبه ويتناول الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الدولة المصرية منذ عام ١٩٥٢م. والباب الثاني يحتوي علي استعراض أهم روايات صنع الله إبراهيم الأدبية. والباب الثالث يتكلم عن المجتمع المصري كما ينعكس في روايته "ذات". والباب الرابع يلقي الضوء علي أسلوب رواية ذات ويقدم آراء الأدباء والنقاد فيها كما يمكن ملاحظتها عند مراجعة الكتاب.

وفي الأخير أرى من الواجب أن أقدم جزيل شكري وامتناني إلي أستاذي المحترم الدكتور محمد قطب الدين الذي تحت إشرافه قد أكملت هذا البحث بفضل الله عز وجل وتوفيقه.

الباب الأول:

حياة صنع الله إبراهيم وعصره

الفصل الأول:

مولده ونشأته

مولده ونشأته:

ولد صنع الله إبراهيم في القاهرة سنة 1937م في زمن كانت فيه مصر مستقلة من الحيثية النظرية ولكن القوات البرطانية العظمى لم تزل تحتل منطقة قناة السويس طوال عشرين سنة أخرى. لما ولد صنع الله إبراهيم، قرر والده تلقينه بآيات من القرآن الكريم مثلما يفعل العديد من الوالدين مع ابنه، وقبل تسميته أشار الطفل لكلمة صنع الله فى القرآن فقرر والده تسميته بنفس الاسم.

يقول المدوح فراج النابي:

> "ولد في مدينة القاهرة عام 1937، لأب كان يتنقّل في كثير مِن المدن، وعن سبب تسميته بهذا الاسم الذي سبّب له الكثير من المشاكل يقول "عند ولادتي كان والدي يبلغ الستين من العمر وقام بصلاة استخارة ثمّ فتح المصحف فوضع أصابعه على كلمة "صُنع الله الذي أتقن كلّ شيء"، ومن هنا تمت تسميتي بصُنع الله، ولكن هذا سبّب لي مشاكل كثيرة، فعندما كنتُ في المدرسة لأنه كان اسمًا غريبًا، وكان دائما مثار فكاهة للناس، أذكر أنَّ المدرس كان يقول لي (صُنع الله؟ ما كُلنا صُنع الله)."[1]

تعلم القانون و انشغل في الصحافة ثم درس فن الاخراج السينمائي و أصبح محرراً بوكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية في 1967م، ثم محررا بالقسم العربي لوكالة أ.د.ت. الألمانية الشرقية في برلين من 1968حتى 1971م،و سافر إلى الروس و درس في معهد

[1] ممدوح فراج النابي،صنع الله إبراهيم الروائي المشاكس وصانع الأزمات، نشر في 2015\04\19، المجلة العرب، http://www.alarab.co.uk/m

موسكو للسينما من 1971 حتى 1974م، و ترجم إلى اللغة العربية رواية " العدو" للكاتب الأمريكي جيمس دروت و"حمار بوريدان" للكاتب الألماني الشهير جونتر.

عايش صنع الله إبراهيم مرحلة نهضة الشباب التي أعقبت الاستعمار وأحلام الديمقراطية والعدالة الاجتماعية في تلك السنوات كشاب مصري عادي وبدأ صنع الله إبراهيم دراسة الحقوق، ولكنه ما لبث أن انصرف إلى الصحافة والسياسة، لقد كانت تلك السنوات سنوات القومية العربية وسياسة الاشتراكية العربية، ولكن الحكومة لا تعفو بتوجيه أي نقد وكلمة عتاب إليها، وبسبب كونه عضوا في حزب شيوعي مصري سجن صنع الله إبراهيم عدة مرات لفترة غير طويلة، إلى أن سجن لخمس سنوات ونصف السنة من 1959 إلى 1964م، وذلك حينما قام الرئيس المصري جمال عبد الناصر بشن الحملة ضد الشوعيين والماركسيين واليساريين والي فترة الحبس ترجع الصداقة التي نشأت بين صنع الله إبراهيم وبين الكتاب كمال قلش، ورؤوف مسعد، وعبد الحكيم قاسم وكذلك مع الصديق شهدي عطية الشافعي الذي أستشهد في سجن مصري بسبب التعذيب

اشتغل صنع الله إبراهيم بعد تسريحه من السجن في البداية صحفيا لدى وكالة الأنباء المصرية المعروفة بمينا عام 1967م وبعد ذلك عمل في برلين الشرقية لدى وكالة الأنباء الألمانية (أ.د.ت.) التابعة لجمهورة المانيا الديمقراطية سابقا من 1968 إلى 1971م ثم أقام في موسكو لثلاث سنوات، و اشتغل خلالها بفن الفيلم وذلك ضمن دراسة علم التصوير السينمائي، حتى حزم أمره بوضوح لصالح الكلمة المكتوبة وبعد عودته عام 1974م إلى القاهرة في عهد السادات عمل صنع الله إبراهيم لدى دار نشر و في الأخير إتخذ عام 1975م قراره بأن يبذل نفسه للكتابة بصفته كاتباً حراً.

تقدم حياة صنع الله إبراهيم صورة ديناميكية نموذجية عالية إلى حد بعيد وتمثل حياة العديد من المثقفين العرب الذين ينتسبون إلى جيل الستينيات كما كان يسمى آنذاك الكتاب

الصاعدون جيل ما بعد نجيب محفوظ فقد بدؤوا في أعوام الستينيات يكتبون وينشرون وقد إنغمسوا جميعا في السياسة بشدق من خلال تربيتهم في شبابهم، و إن صنع الله إبراهيم الذي يُعتبر من أبرز وأفضل الروائيين المصريين من جيل الستينيات، المعتنقون بالفكر اليساري، والذين عالجوا من خلال أعمالهم الواقع المصري والعربي في الكثير من السياق الاجتماعي والسياسي، يقول طاهر وطار بهذ الصدد:

"والحق أن ذاكرة صنع الله الحادة أدهشتني شخصيا بحدتها ورهافتها وقدرتها علي الاحتفاظ بتفاصيل الحياة اليومية التي عشناها في طفولتنا وتراكمت عليها الظلال حتي أصبحت نائية، أما الأجيال الجديدة فتجهل الوابور البريموس، وسجائر كوتاريللي، بل إن الرواية تكاد تكون سجلا أمينا لشوارع ودروب القاهرة في الاربعينات، وكذلك خطوط المواصلات بأرقامها سواء الحافلات، أو الترامواي، لكن ما يثير الإعجاب حقا قدرة الذاكرة علي استحضار الزمن بكافة معالمه وهنا أشير إلي اللغة، يستخدم صنع الله فعل المضارع، انه يقص عن زمن حاضر الآن، ليس ماضيا، لاتوجد مسافة بين الراوي والموضوع، بل الفاصل ملغي تماما، لذلك ندخل مباشرة إلي زمن الراوي، وهنا يستخدم الكاتب لغة رهيفة، تذكرنا بحيادية (تلك الرائحة)، بالمستوي الواحد، أو هكذا يبدو لنا، لكن ثمة فارقا، فلغة تلك الرائحة كانت في المقتبل، الحياة تبدو ممتدة، والحيرة موقوتة، ومفترقات الطرق عديدة."[2]

ويقول احسان حمدي العطار:

"صنع الله إبراهيم كاتب متفرد لا يقدر على الإتيان بمثل رواياته الا هو ..الرؤية البانورامية الضخمة وهذه المعرفة الواسعة بالسياسة والتاريخ السياسي وإدماجها بحبكة روائية فذة."[3]

---

[2] طاهر وطار ، الطاهر وطار يكتب عن صنع الله إبراهيم:تلصص عن التلصص ، منتديات سودانيزاونلاين ، 02/03/2007

[3] احسان حمدي العطار ، ثورية عقيل أبو ذر ورواية صنع الله إبراهيم ، جريدة"الزمان" ، June 19, 2016

تتميز أعماله بميزتين رئيستين تشكلان الإتجاه الفني والقيمي لأعماله، وهي وثيقة التشابك مع حياته على صعيد ومع تاريخ مصر السياسي على صعيد آخر، وبعد ذلك التوثيق السياسي والاجتماعي للمجتمع المصري عبر سبل فنيةٍ مختلفةٍ، وعبر التراوح بين الأشكال الفنية التي استخدَمَ فيها هذا التوثيق بين استخدام تقنيات الصحافة في روايتي "شرف"، و"ذات"، و(الفيلم التسجيلي) "بيروت- بيروت"، و(المسرح) "شرف" و(الوثائق التاريخية والمخطوطات) "العمامة والقبعة" و"القانون الفرنسي" وما إلي ذلك من الأعمال الأدبية المهمة.

حياة صنع الله إبراهيم تمتاز بالإخلاص والتفاني والزهد والانقطاع عن البهاء الدنيوي، لا يوجد لها مثيل، خصص حياته كلها للأدب، وتنازل عن الوظائف والأعمال الأخرى التي احتلها، وعاش عيشة القناعة والرضا، ولم يتوكل إلا على أدنى المستوى من القوت الذي يضمن الحياة المعتدلة ،وأنه خصص نفسه للقراءة والكتابة في شقة صغيرة في الطابق السادس وعاش مع أسرته الصغيرة حياة القناعة.

حاول صنع الله إبراهيم دائماً لتحقيق وحدة القول والفعل والتوافق بين العمل والكلام فقد استغنى عن كل وظيفة في مؤسسات الدولة، وذلك لكي يحرس على حريته ككاتب حرّ مستقل،و لكنه اكتسب المال عن طرق مختلفة و نال دخله الأساسي عن طريقة كتابة سيناريوهات سينمائية وتلفزيونية، وروايات بيئية فقد ترجم رواية "العدو" لجيمس دروت، ورواية "حمار بوريدان" لغونتر دي بروين إلى اللغة العربية، بالإضافة إلى مجموعة من النصوص النثرية لمؤلفين غربيين مختلفين.

ولم يتح صنع الله إبراهيم للجهاز الثقافي الحكومي بأن يستحوذ عليه وأن يفرض عليه أي نوع من الضغط. ومع أنه قد حصل على العديد من الجوائز التقديرية –كجائزة غالب هلسا التي منحته إياها رابطة الكتاب الأردنيين عام 1992م، وأيضا حصل علي جائزة سلطان العويس المحترمة التي تسلمها دولة الإمارات العربية، و قد فرض على نفسه بأن يرفض

دعوات وجوائز، إذا وجد فيها خردلا من الشبهة بأنها تمنح لغرض سياسيّ، مثلما فعل في سنة 1998م، عندما رفض "جائزة نجيب محفوظ" التي تمنحها الجامعة الأمريكية في القاهرة، أو في عام 2003م، عندما رفض الجائزة التقديرية ذات القيمة المالية العظيمة، التي تمنحها وزارة الثقافة المصرية لأفضل رواية عربية، إن الحكومة المصرية، حسب قوله، تحتاج إلى المصداقية التي تفوضها منح جائزة كهذه، وذلك بإعتبار لأن تلك الحكومة تتغابى وتتجاهل عن مساعي الهيمنة الأمريكية على الإقليم، وعن احتلال العراق، وعن التسلط الإسرائيلي وما يشتغله في مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني من تخريب، وعن الفساد وإنخفاض مستوى المعيشة في مصر.

في الحقيقة أن حياته تقدم نموذج العالم الفريد لا طمع فيه ولا جشع، حتى تخلو عن كل نوع من الوظائف التي تعطيه حياة البهاء والرفاهة ويقضي حياته في العزلة بعيدا عن لمعان الحفلات و الإجتماعات و المحافل و لذا إنه يبدو خاسرا في العالم المادي، لكنه في ميدان الأدب فائز ومحترم وطالما يحسد عليه الكتاب والروائيون للدرجة التي نالها بجهده وإخلاصه. ورغم زهده وعزلته، إنه لا يزال يحتل موضعا خاصا في حلقة الكتاب والأدباء وهم يروحون إليه ويغدون لتبادل الآراء والأفكار، وما من كاتب عربي يصل مصر إلا يزوره لإطفاء غليله الأدبي.

يستلم صنع الله إبراهيم عشرات من رسالات الدعوة لزيارة أفضل وأشهر الجامعات العالمية والمؤتمرات الدولية، وهذا الاعتراف العالمي يشير إلى المكان العالي الذي يحتل صنع الله في ميدان الأدب. وصنع الله إبراهيم يعتبر نموذجا في عالم الاقتصاد المعكوس ويعد كاتبا حرا غير منازع بالإضافة إلى ذلك أنه دائما ضد القوة المسيطرة، ويتباعد عن مجال القوة بعيدا للغاية. وهذا النوع من المزاج هو الذي جعله ذا احترام ووقار في أعين القراء والأدباء الآخرين.

الفصل الثاني:

أيدولوجيته وبيئته وتأثيرهما على كتاباته

أيدولوجيته وبيئته وتأثيرهما على كتاباته

عصر صنع الله إبراهيم عصر التغير السياسي والتحول الاجتماعي، حينما ولد صنع الله إبراهيم رأي الأنجليز كانوا يحكمون بلاده مباشرة أو غير مباشرة وبلاد مصر كانت تحت سيطرتهم وكانوا يستغلون مواردها أمام عينيه، فإحتد كجميع المصريين من انتشار النفوذ الأجنبي في كل ناحية من نواحي مصر من محلات تجارية ومقاهي ودور سينما إلى المدارس والكليات وهكذا إحبط وتململ من السيطرة الإقطاعية التي كانت تمتص دماء الفقراء المصريين فرغب رغبا شديدا أن يتخلص من سيطرته كما ولدت المشاعر والانفعالات ضد الاستعمار الغربي الذي سبب في المصريين الاحباط النفسي والقلق الذهني وانتشر في المجتمع عدم الاستقرار السياسي والفوضى الاجتماعية وحينما كان شابا كان عبد الناصر حاكم مصر وكان يعتبر الشيوعيين خطورة عظيمة لنظامه وكان له تعبير خاص عن الحرية الفكرية، الحرية التي توافق مزاجه فمن سوء الحظ أن حرية صنع الله إبراهيم لم توافق مذاقه حتى سجن لخمس سنوات لأيدولوجيته اليسارية، وهذا الاختلاف الفكري والنزاع الأيدولوجي أبعد صنع الله إبراهيم من الحكومة ومناصبها وجوائزها واشتد في حريته كما يظهر في أدبه وأبعد نفسه من اكتساب المال حتى يعيش إلى يومنا هذا في شقة صغيرة القاهرة وهذه الحرية ملأته بالصدق والجرأة والنقد ضد النظام من السياسة إلى الاقتصاد.

أما الاقتصاد المصري في شبابه فكان لا يزال يمر بمراحل التحول لأن الفرص الجديدة في هذا المجال بدأت تنشأ للإصلاحات التي قام بها عبد الناصر لكن هذه الإصلاحات والفرص لا تقدر على أن تكمل حاجات جميع السكان فاضطر الآلاف إلى أن يقوموا ضد سياسات

الحكومة ووقع في المجتمع نوع من الحركة للحصول على القوت ونيل الوظائف الفاخرة، وعلى الرغم من ذلك كان عبدالناصر قد بذل الملايين في الحروب داخلا وخارجا وهذه الحروب فرغت الخزانة العامة المصرية و خرب الأوضاع المالية أكثر مما قبل، وكان الاقتصاد المصري لا يزال يعاني من حجم السكان وحركتها داخل البلاد، والهجرة الداخلية بدأت في مصر عام 1930م و ازداد في عام 1960م بسرعة عظيمة و أدى إلى الحشد الشديد في القاهرة وغيرها من المدن و تقريبا ثلاثة ملايين من العمال كانوا يعملون خارج مصر حتى حرمت مصر من بعض المهارات وأضف إلى ذلك الرواتب المرتفعة التي يكتسب المصريون قد ساهمت في التضخم في مصر.

المشاكل الاقتصادية في مصر إرتفعت لقلة المصادر الطبيعية، حيث أن البيداء لا تؤفر إلا قليلا من الذخائر المعدنية لإنشاء المباني ولا يتوافر النفط إلا في بعض الأمكنة كالسويس وصحراء سينا و ذلك في مقدار ضئيل، وهذه الأسباب والأوضاع الاقتصادية وفقر المجتمع المصري والجهد لقوت يوم أنشأت بين الناس نوعا من عدم الطمأنينة لاسيما في الشبان الذين تخرجوا في الكليات بالشهادات ولم يقدروا على أن يحصلوا علي الوظائف.

المعركة الثقافية

كانت مصر غارقة في المعركة الثقافية في وقت شباب صنع الله إبراهيم حيث يوجد هناك كتاب وأدباء ذات الأيدولوجيات المختلفة، فبعض يدعمون سياسة الحكومة، وبعض يخالفونها وكانت لإخوان المسلمين نظرية خاصة، والكتاب الشيوعيون يكتبون حول أفكارهم، وهناك المتطرفون والمعتدلون حتى توسع ميدان هذا النزاع وصنع لله الذي كان ضد سياسات الحكومة لا يزال ينتقد الحكومة بأسلوب مباشر و غير مباشر وأدان صنع الله إبراهيم جميع

أنواع الانتهاكات والتعديات التي يعاني منها الشعب في الكيادين المختلفة، من قهر وظلم في كل مكان وأدان إجراءات إعتقال الشباب والطلاب والكتاب والمفكرين والصحافيين، وطالب بالإفراج الفوري عن جميع المعتقلين وتعطيل المحاكمات السياسية.

وحياة صنع الله إبراهيم الأدبية تحتوي على الانهماك في عمله والزهد عن الأشياء التافهة، ولا يوجد أي مثيل لإخلاصه وإنهماكه في هذا الباب وأخلص حياته كلها للأدب، وترك الأعمال والوظائف كلها، عاش على قوت يوم، وانقطع للقراءة والكتابة طوال حياته وهذه الشخصية القوية أعطت كتابته قوة وجاذبية ومنزلة عظيمة بين القراء وهذه الشخصية أثرت على كتاباته وفكرته وأيدولوجيته تأثيرا بالغا.

أما السنوات التي عاشها في السجن، و ما صاحبها من شدائد وأشغال شاقة، قد شكّلت تجربة تراوماتية بالنسبة إليه و صنع الله إبراهيم استطاع أن ينظر إلى ذلك الزمن نظرة إيجابية، وقد وصف السجن بجامعته وإستفاد من نزلاء السجن الآخرين، كالكاتب المصري المعروف محمود أمين العالم، ورفقاء آخرين، وأخذ منهم المعنى الحقيقي للعدالة والتقدّم وحبّ البلاد، و انما هو المعتقل الذي جعل صنع الله إبراهيم يتخذ قراراً بأن يصبح كاتباً. إن روايته الأولى "تلك الرائحة" التي تتناول تجربة الاعتقال والأيام الأولى لحياته وتحكي قصة التعذيب والمصائب المتتالية في شبابه.

وكان التعليم في العقدين 60 و 70 أيضا على مسيرة التغير الجذري على جميع المستويات وكان مقصد الثورة التغيير في المجتمع ، و نشر التعليم في أوسع معناه كان واسطة أساسية لتحقيق هذا الهدف وتحمل مسودة 1962م أهداف التعليم، وكتابات الأيدولوجيين والمفكرين تمثل نفس الشيء، وكانت العروبة، والوطنية والاشتراكية العربية ذات الحماسة البالغة تعد من أهم الأفكار التي كانت حكومة عبد الناصر تروج و تذيع، وبدأت هذه العملية

من الأساس أي من المدرسة الابتدائية حيث نجد أن الطلاب في المدارس الابتدائية كانوا يعلمون بل يوجهون التعاون مع الدولة من أجل تحقيق الأهداف المقررة، وكانت الدولة تحاول أن تؤفر التعليم المجان والتسهيلات الطبية، وكان يتوقع من المواطن أن يعمل لصالح الاشتراكية. وكان الضباط الأحرار بعد مدة قلية من الثورة قاموا بعنايتهم بالإصلاحات التعليمية وأكترثوا اكتراثا خاصا بإدخال التعليم التكنيكي والمهني، وأنشأ عبد الناصر لجنة التعليم الوطني بهدف تشكيل جيل جديد من الشبان الذين يدركون المرحلة التي يمر بها وطنهم وكان الطلاب يتعلمون أن يهتفوا الشعارات "ناصر ناصر" حينما يدخل المدرس في الصف.

وأكبر مشكلة في مصر وجل البلدان العربية هو أنه يوجد هناك لغتان ، لغة التعليم ولغة العامة، والطلاب في المدارس يتعلمون اللغة العربية الفصحى والأدبية ولكنهم لا يستعملون هذه اللغة حينما يخرجون من المدارس بل يتكلمون في اللغة المحلية، وكانوا يواجهون الصعبة في فهم بعض البرامج التي يذيع الراديو والتلفزيون. والكتاب العرب يواجهون مشكلة الإلتزام بصورة حادة، والكاتب العربي لا يزال يدرك تماما بالحاجة إلى استغلال العمليات الإنسانية بانضمام العمليات الأدبية والعقلية من أجل تحقيق الأهداف الاجتماعية والتقدم المادي ومن أجل تقسيم الموارد والفرص الموجودة تقسيما عقلانيا عادلا.

وكل هذا ينعكس في حياة صنع الله إبراهيم الشخصية والأدبية وهو يكتب ضد كل نوع من التمييز وهو يحلم بمجتمع عقلاني عادل....المجتمع الذي لا يفرق بين الأسود والأبيض ولا يميز بين الناس على أساس الأيدولوجية، وهو يريد من خلال كتبه أن يغير العقلية المصرية وهو يرى ويطالب من الحاكم بأن لا يدير البلاد "كسوبر ماركيت" بل يجب على الحكومة أن تراعي مصالح ورفاهة المجتمع وأن تكون قادرة على أن تدرك بحاجاتهم على جميع المستويات، هذا هو السبب أن صنع الله إبراهيم أصبح حساسيا إلى هذه الغاية تجاه

مجتمعه ويعرف بين الأدباء والنقاد بروائي حساس مشاكس بجانب كونه متميزا بغزارة الإنتاج وتنوع كتاباته والأسلوب الخاص والموضوعات المتعددة ويحتوي كتاباته على التوثيق التاريخي والسير الذاتية والنقد الاجتماعي وقلبه مملوء بشدة الألم وهو شفوق على المجتمع المصري وكثيرا ما يبدي مشاعره حول سياسات المجتمع والعدالة الاجتماعية.

وهو يقول في الملتقى الثاني للرواية الذي عقد في القاهرة عام 2003م:

"في الوقت اللي ما فيش فيه أمة لا حاضر لها ولا مستقبل وفي الوقت اللي فيه إسرائيل يتجهز على ما لتبقي من الأراضي الفلسطينية وسفيرها آمن في مصر وفي الوقت اللي موجود فيه السفير الأمريكي في القاهرة ويحتل حيا بالكامل وينتشر جنوده في كل شبر من الوطن وفي الوقت اللي يتفرج فيه الحكومات العربية على المجازر التي تحدث في العراق وفلسطين ولا تصنع حيالها شيئا، أرفض قبول هذه الجائزة لأنها صادرة عن حكومة غير قادة على منحها."[4]

صنع الله إبراهيم لا يزال يمر بالمرحلة التي يمر بها كل من له قلب سليم وكل من له شعور عميق تجاه الإنسانية أنه لا يحب ولا يحمل أي نوع من النفاق وهذا من أكبر ميزاته ويبدو ذلك في انتقاده لليسار مع أنه ينتمي سياسيا لمنظمة "حدتو" الشيوعية حيث تجد أنه انتقد بعض الأحزاب اليسارية التي تعاونت مع حسني مبارك وفشلت في التفاعل مع الناس والتساءل عن مصائبهم ومشاكلهم وهو يقول أن على الأحزاب وأصحاب السياسة مسؤولية تجاه الجماهير فيجب على الأحزاب أن يوثق صلاتهم بالجماهير لكي تحقق الأهداف المطلوبة.

يمتاز أسلوب صنع الله في معظم أعماله بالسلاسة وخفة الروح واللغة البسيطة، فهو مثل معلم ماهر يعرف كيف يجعل عين القارئ تمشي مع الجملة دون معوقات وحواجز، وكيف

[4] جمال القصاص ، الكاتب المصري صنع الله إبراهيم يرفض جائزة ملتقى القاهرة للرواية العربية ، جريدة الشرق الأوسط ، 14/10/2003

تبدع مفارقات صغيرة تعتمد على السخرية تكسب الإيقاع حيويته وكيف ينشأ في القراء الحب والشغف نحو المادة المقروءة.

أصبح صنع الله إبراهيم من الروائيين المصريين، والمثقفين المصريين علي وجه العموم، الذين يكرهون التطرف والتعصب في الكتابة ولا يتحيزون لفئة خاصة وهكذا يبالغون في الشوفينية المصرية، مثل ادوار الخراط، وغالي شكري، وما إلى ذلك من الأدباء، وهو في إختراعه الروائي والقصصي يخطط صورة حيوية تتجاوز ما هو مرسخ حول التجربة الروائية المصرية وهو دوما ينشغل بقضية الحرية والعدالة. ومع الأسف فهي معدومة رغم الدعوات والحركات والثورات، ومن ثمة يوجد المكادبة في أعماله ، وفي سبيل هذه القضايا يصبح منتهى أبطاله أما السجن أو الإجبار الذاتي، والحرية والعدالة التي يشتاق إليها لا تحتوي فقط على هتافات وإنما في الحصول على امتلاك الذات وتخليصها من المعوقات إلى تجشعها.

ويكره الامبراطورية الاستعمارية كرها شديدا للغاية ولا بد أن هذه الكراهة نتيجة السياسة المستبدة الظالمة التي امتصت دماء جماهير العالم الثالث، ويصف الإمبراطورية الاستعمارية بإمبراطورية قمع واستغلال وعدوان وتخلف كل هذه بشعارات زائفة وجوفاء كما أنها تدعم القمع وتحارب الديمقراطية حتى تضمن استقرار الأوضاع وبقاءها على ما هي عليه في العالم الثالث.

نلاحظ في روايات صنع الله إبراهيم الكثير من الفكر الذي يسعي من خلاله اكتشاف حقيقة ما نتعرض له يوميا من إهتجام ثقافي امبريالي أجنبي ، يصاحبه غزو اقتصادي ايضا و نجد أنفسنا طريدة الهجومين حيث تغصب خيرات الشرق لمنفعة قوى الرأسمال المتسللة في منطقتنا من خلال الشركات العولمية والمتعددة الجنسيات التي تمتص خزائن العالم العربي، وتغنم بالتعاون والتسهيلات الغير محدودة التي تؤفرها تلك الدمى الحاكمة ، لهذا نري أن صنع الله إبراهيم قد قدم أمامنا تحديا كبيرا عندما عنون روايته الاخيرة باسم "أمريكانلي"

والتي فيها إشارة واضحة إلى المعركة الحقيقية القائمة من خلال تجربة استاذ جامعي مصري يعلم التاريخ المقارن في إحدى جامعات سان فرانسيسكو حيث يعرض من خلالها تاريخ البلدين .اسم الرواية لم يكن عبثا ونجد فيه أيضا روح المقاومة التي يمتاز بها كاتبنا دوما حتى في رواياته التي تتناول واقع الأسرة المصرية . وهنا ايضا نجد أن اسم رواية "أمريكانلي" هو " أمري كان لي" واذا كان امري لي فلماذا اخضع لعنف الغير واحتلاله الاقتصادي والثقافي والسياسي والفكري.

وإن انتهى النمط القديم من الاستعمار لكن الاستعمار الجديد أقوى من القديم وهو يستعمل جميع حيل الاستعمار القديم بجانب كونه مسلحا بالعوامل الجديدة التي تساعده يستحوذ أذهان جماهير العالم الثالث لاسيما عن طريق الاستبداد من جهة "البترودولار" في بنوكها والربا الفاحش والمستتر من جهة ثانية. يقول الممدوح فراج النابي:

> "الخيط الذي يلتزم به صنع الله إبراهيم في كتاباته أنه مناوئ للإمبريالية والسلطة في أحد أشكالها التعسفيّة وهو ما عرّضه لتجربة الاعتقال من عام 1959م وحتى عام 1964م، التي عبّر عن تأثيرها الفادح في روايته القصيرة "تلك الرائحة"، ثم ما أسهب فيه من خلال وصف أحداثها في أعماله "يوميات الواحات" و"شرف"، حتى غدا السَّجن بالنِّسبَة إليه جامعته كما يقول "ففيه عايشتُ القهر والموت ورأيتُ بعض الوجوه النادرة للإنسان، وتعلّمت الكثير عن عالمه الداخلي وحيواته المتنوِّعة ومارستُ الاستبطان والتأمُّل وقرأتُ في مجالات متباينة. وفيه أيضا قرّرت أن أكونَ كاتبًا."[5]

وهذا الاستعمار يتمثل في تخلل المجتمع التقليدي أو الأهلي والهدف خلف ذلك التفكيك وتكشير النسيج الاجتماعي، وهذا الاستعمار إستحدث نظام التبادل التجاري غير المتكافئ وهو نمط بشع في استغلاليته المتعاظمة، وهذا الاستعمار يتجلى في احتكار العلوم والتكنولوجيا الحديثة والبحث العلمي والتقني وحظر توريدهما وإذا حصل توريد

[5] ممدوح فراج النابي ، صنع الله إبراهيم الروائي المشاكس وصانع الأزمات ، صحيفة"العرب" ، 19/042015

التكنولوجيا فبشروط شاقة ، أما الاستعمار القديم فكان سياسيا عسكريا فقام شعب العالم الثالث بالانتصار عليه لكن اليوم قد تغير نمطه فالمسؤولية ترجع إلى المثقفين والكتاب والصحفيين على أن يوقظوا الناس من سباتهم، وينشأ فيهم الوعي والشعور لكي يقوموا بمعرفة حقيقة الاستعمار الغربي ، وصنع الله إبراهيم لا يزال يستمر طوال عمره حامل اللواء ضد الاستعمار ولا يزال يوقظ الجماهير بكتاباته حتى لم يتردد في رفض أكبر الجائزة المصرية ووقف أمام 300 كاتب عربي أجنبي في دار الأوبرا وأعلن أمامهم أنه يرفض الجائزة [6]، ولم يقف عن مجرد الإعلان بل فسر أمام الجميع سبب الرفض وهو أن الحكومة المصرية لا تقدر في نظره مصداقية منحها، وهذا الرفض لم يقع أول مرة بل رفض من قبل جائزة الرواية التي تحمل اسم نجيب محفوظ والتي تمنحها الجامعة الأمريكية وكل ذلك يشير إلى إخلاصه لعمله وجرأته وشجاعته وألمه وشعوره تجاه المستضعفين حتى لم تردد في انتقاد جمال عبد الناصر حيث يقول عنه: "زعيم وطني عظيم حقق ايجابيات كثيرة لكن أي أنسان له جوانب سلبية أيضا والسلبي في عبد الناصر أنه كان يتخذ قراراته منفردا"[7]

أصبح صنع الله إبراهيم من البداية على رأس مخالفة السياسات الإسرائيلية وظلمها واستبدادها على المجتمع الفلسطيني ورأى دائما إسرائيل كيانا غاصبا وانتقد حكام العرب الذين لهم أي نوع من الربط والعلاقة مع إسرائيل ويقول إنه لا يمكن مناهضة إسرائيل بمجرد بيانات ولا يمكن أن يقضى على ألأزمة الفلسطينة والأحلام الكاذبة ، وهو يلعب دور المقاوم الحر ويؤدي مسؤولياته بكل أمانة وصدق تجاه القضية الفلسطينية.

أما أيدولوجيته فهي نتيجة الأوضاع السياسية التي نشأت كضرورة أو طبيعة لكاتب ذي

[6] جهاد عقل ، صنع الله إبراهيم المقاوم الحر ، جريدة"الحوار المتمدن " 05/12/2004

[7]

شعور حساس ويقال أيضا إنه شيوعي لكنه ما كان شيوعيا بكل ما في كلمة من معنى لأنه في مواضيع كثيرة قام بإدانة وذم الأحزاب الشيوعية غير أنه كان عضوا في احدى الأحزاب اليسارية، بل لا يمكن لنا أن نقول أنه كان محدودا في مصر ولا يزال يكتب حول القضايا المصرية بغض النظر عن الأحوال العالمية بل يجدر بنا أن نقول أنه إنسان ذو حساسة قوية، الإنسان الذي يفهم معنى الإنسانية وحريتها ويعرف معنى المجتمع الإنساني ومقتضياته ويعرف معرفة جيدة معنى وأهمية العدالة الاجتماعية والاستقرار النفسي لقضاء الحياة المطمئنة، لذا يبذل جهوده ضد الاستعمار وسياسته أينما كان ، وتدل على ذلك مضامين رواياته مثلا كتاب "بيروت بيروت" تناول فيها الحرب الأهلية وتكلم عن أسبابها ونتائجها التي أثرت على المجتمع اللبناني تأثيرا كبيرا على جميع المستويات الحياتية.

فعندما تلاحظ رواية من روايات الكاتب صنع الله إبراهيم ، تجد نفسك واقعا في أجواء تعيشها كل يوم ، بل تقرأ لغة ملاصقة بك وسهلة المرام جدا، بل مشحونا بروح المقاومة والاستقلال وعدم الاستسلام للوضع المزري الذي تحييه و ترى نفسك تعيش الاحداث مع شخصيات الرواية من خلال الوقائع الواردة في الرواية والمنقولة عن الصحف المصرية ،واضافة إلى كونك تعيش الحدث تجد نفسك غاضبا محتدا من تلك العناوين والاخبار التي نقلها الكاتب من تلك الصحف لانها تعطيك فرصة جميلة لمشاهدة الفساد السلطوي والفوضي الأجتماعي و إلتزام الحكم والمال ونتائج العولمة المبغوضة على المجتمع بل تشاهد ظلم الديمقراطية وحقيقة الهيمنة السلطوية المستمرة الدائمة في لباس الديمقراطية المدعومة من الولايات المتحدة.

في هذا المجال قام بتأليف برلين 69 و ركز فيها على الاستعمار الجديد وتأثيره السلبي على المجتمع وعني في هذه الرواية بقضية فلسطين فيتضح هنا أن صنع الله إبراهيم لم يمثل

قط فكرة خاصة بل دائما قام بمسؤوليته تجاه المجتمع عن طرق مختلفة وأساليب شتات. تمرد صنع الله إبراهيم منذ الشباب على الواقع السياسي وأضف إلى ذلك التقاليد الأدبية فصنع لنفسه مقاما مرموقا ودرجة خاصة بين كتاب جيله ومهد الطريق لمنهج جديد للأجيال القادمة، حسب صنع الله إبراهيم إن الكتابة عملية محكومة بمجلة عوامل و هذه العوامل تأثر على الكتابة إلى حد كبير وعلى رأسها أوضاع الحياة السياسية والاجتماعية وكذا أمزجتنا وتفكيرنا وهناك مئات من العوامل التي تدفع الكاتب إلى اختيار موضوع وتناول قضية معينة وفي طليعتهم الشخصية والمزاج النفسي والظروف السياسية والطقس لكن أكبر الحادث الذي أثر على مزاجه وشخصيته سلبيا أو ايجابيا هو تجربة خمس سنوات في السجن في عهد جمال عبد الناصر الذي شن الغارة ضد الكتاب اليساريين ، و تجربة السجن عنده مريرة جدا.

عند صنع الله إبراهيم أسلوب الكتابة يتغير بالقضايا، وكل موضوع يفرض لغته على العمل الإبداعي مثلا إذا أراد أحد أن يكتب عن الأدب فلا بد له – إذا أراد أن يحسن كتابته- أن يبلغ ذلك السن وأن يتجرب بهذه العملية لأنه لايمكن له أن يدرك بالأحاسيس الداخلية والأفكار المستقبلية والمشاعر الخاصة بمجرد كونه كاتبا ربما يمكن له أن يقضى السنوات الطويلة في دراسة هذه المشاعر والأحاسيس لكنه كيف يقدر على أن يدري ما يجري في داخل الإنسان فيتضح من هنا أن التجربة تزيد الكتابة حساسية وعمقا.

الفكر الكافكوي وصنع الله إبراهيم

صنع الله إبراهيم يعد من الروائيين الذين يأخذون من تقنيات الرواية الجديدة الفرنسية أو الروايات المنولوجية الإنجليزية وتوجد في كتاباته واقعية انتقادية منتقصة، بالإضافة إلى

تجرد الواقع ويصور صنع الله إبراهيم الواقع بالفضاحة والبشاعة ثم تدريجا يجتاز نحو الأحسن.

ويصور صنع الله إبراهيم في رواياته وحدة الإنسان وعزلته كما نجد في"اللجنة" و"بطلة" و"ذات" أيضا تعاني من نفس هذه الوحشة والغربة وتتكلم عن نفسها ، وتنظر إلى حرمانها وأحلامها التي لم تكتمل وأهدافها التي لم تتحقق فتجد نفسها واقفة وحيدة فريدة أمام مشكلات الدهر وتقلبات الزمان، وفي هذا السياق نشاهد في "اللجنة" أن البطل قائما وحيدا وفريدا أمام اللجنة ويجيب على الأسئلة التي تتوجه اليه، ويقول النقاد أن هذاالفكر أخذ صنع الله إبراهيم من الكاتب الألماني المعروف فرانز كافكا حيث أنه معروف أن فرانز كافكا له تأثير بليغ على كتاب الستينات والسبعينات في الدول العربية على العموم وفي مصر على الخصوص، بحيث تعددت أعماله المترجمة إلى العربية في هذا الوقت. يقول الدكتور نجم عبد الله كاظم في مقالته "اللجنة لصنع الله إبراهيم وكافكا والكافلوية عربيا":

> "معروف أن فرانزا كافكا قد حضر، بعوالم أعماله واساليبها ولا معقوليتها في الوطن العربي ولا سيما خلال الستينات والسبعينات ليكون مقروءا بشكل مكثف بحيث تعددت أعماله المترجمة إلى العربية، لقد عرفت أعماله وقرئت كثيرا من القراء العرب حين وجدت منهم استقبالا غير عادي ولعلنا لا نبالغ إذا ما قلنا أن العديد منهم صار شعبيا باستحقاق وأبرزها "القضية" و "القلعة" و"المسخ" إضافة إلى أمريكا وغير قليل من قصصه الكثيرة، بل أن كافكا وأعماله وما أفرزته أو ما كانت قد أفرزته من قبل أن تعبر البحار إلى العرب مما يسمى الكافكوية عوالمَ ومفردات هذه العوالم وأسلوباً أو أساليبَ، كادت كلها تصير موجة أو موضة لا في ساحة الكتابة الأدبية وبين نخبة الكتاب والمثقفين، بل بين قرّاء الأدب العاديين، وهي التي انضوت تحت ما صار معروفاً بأدب اللامعقول، ولعل ضمن أجمل من عبر عنه ناقدان هما روجيه غارودي وبرنارد ماك إلراي. يقول روجيه غارودي: "تتمثل عظمة كافكا في نجاحه في

خلق عالم أسطوري لا ينفصل عن عالمنا.. لقد خلق كافكا عالماً خيالياً بمواد عالمنا هذا، مع إعادة ترتيبها وفقاً لقوانين أخرى"، بما يعني أنه من الواقع أو عن الواقع منظور إليه من زاوية خاصة."[8]

بعد رواية "ذات" التي تمثل الكافكوية في الحرمان والإحباط والقلق التي تعاني منها ذات نقدم "اللجنة" أقرب النموذج إلى الفكرة الكافكوية في عمل أدبي عربي ، حيث نجد أن الرواية تبدأ بضمير المتكلم عبر بطلها وهو ينتظر مقابلة اللجنة وهذه البداية تشبه منهج فرانز كافكا وأيدولوجيته. ومن الحقيقة أن هناك في العرب كتابا عديدون تأثروا بفكر كافكا ومنهجه الملتبس والغامض في أعمالهم لكن أشهر الأمثلة على ذلك رواية صنع الله إبراهيم "اللجنة" التي تقدم نموذجا صادقا للكافكية في الأدب العربي.

فيتضح من هنا أن أيدولوجية صنع الله إبراهيم هي التعبير عن المسافة بين الحلم وفقد الحلم وبين الرؤيا والكابوس، وبين الواقع والعبث.

[8] د.نجم عبد الله كاظم ، "اللجنة" لصنع الله إبراهيم كافكا والكافكوية عربياً ، مجلة"الروائي" 19/12/2010

الفصل الثالث:

المجتمع المصري منذ عام 1952م

مصر منبع الحضارات والثقافات

تاريخ مصر غارق في القدم ويرجع إلى سبعة آلاف سنة ولا يمكن لمصر ازدهار كوطن بدون إلقاء النظرة على ماضيها، ولا تستطيع هي أي تقدم بدون العناية بالنيل، لأن النيل تربط بها ارتباطا للغاية حتى يقال إنها أسيرة وهدية لها في وقت واحد. ويدل التاريخ على أن الشعب المصري كانت له علاقة وثيقة بالنيل ونالوا منها قوتهم ورزقهم وكان وادي النيل مغلقا ومستقلا بالذات وإن جاء الحكام الأجانب وغابوا، احتفظ الناس على عاداتهم ومناهج حياتهم منذ آلاف من السنوات بدون أي انقطاع طويل في عاداتهم القديمة.

تقع بلاد مصر في الشمال الشرقي من إفريقيا ومن الشمال يحدها البحر الأبيض المتوسط ومن الشرق يحدها الحدود الدولية للبحر الأحمر ويحدها في الشمال الشرقي الحدود الدولية المرتبطة بفلسطين وإسرائيل ويحدها غربا الحدود الدولية مع الليبية وجنوبا مع السودان.

وادي النيل والدلتا

مصر السفلى تشتمل على منطقة شمال القاهرة التي تشتمل الدلتا أين ينكب النيل إلى الفروع المختلفة وهذا تعد من أكثر المناطق خصبا وسكانا.

الصحراء الغربية

أما الصحراء الغربية فهي تنجم من وادي النيل في الشرق و تختتم إلى الحدود الليبية في الغرب

و تمدد من الشمال من البحر المتوسط إلى الحدود المصرية الجنوبية.

الصحراء الشرقية

الصحراء الشرقية ينبسط في الغرب بين وادي النيل والبحر الأحمر وخليج السويس وقناة السويس في الشرقي ومن بحيرة المنزلة على البحر المتوسط في الشمال إلى أن تصل في الجنوب الحدود المصرية المتصلة بالسودان، والصحراء الشرقية تمتاز بالارتفاع الجبلية وارتفاعها يصل إلى 300 قدم فوق سطع البحر.

شبه جزيرة سيناء

يحتوي شبه الجزيرة على منطقتين إداريتين الشمالية والجنوبية ويعتبر شبه جزيرة سيناء من أشهر المناطق الصحراوية الموجودة في العالم وهو يقع في الجزء الشمالي الغربي من القارة الإفريقية وفي الجزء الشرقي من مصر، ويحد شبه الجزيرة من الجهة الغربية خليج السويس ومن الجهة الشمالية البحر الأبيض المتوسط، ويعد في الجبهة الجنوبية البحر الأحمر وخليج العقبة وجود في الجهة الشرقية فالق الوادي المتصدر الماء من كينيا إلى جبال طورس التركية.

ما قبل 1952

تاريخ مصر قديم جدا ومليئ بالأحداث الشهيرة والعظيمة وشهدت مصر منذ القديم تغيرات

جزرية في جميع مجالات الحياة من السياسة والمجتمع إلى الاقتصاد والتعليم. وهكذا تعد حضارة مصر أقدم في العالم ويصل إلى 4000 سنة قبل الميلاد ويشهر هذا العهد بعصر ما قبل الإسران ، وتوجد هناك آثار و بينات تدل على استقرار السكان في المناطق الصحراوية في مصر العليا، وتم الحصول على العديد من الأواني الفاخرة في بعض المقابر الذي يرجع تاريخها إلى عام4000 قبل الميلاد.

الدولة القديمة

كانت عاصمتها في الشمال في مدينة منف، وفترتها من 2644 إلى 2140 قبل الميلاد وكان الحكام يحكمون حكومة مطلقة قوية موحدة.

العصر الذهبي

هو الجزء الأخير للدولة القديمة والأسرة الثالثة، وكان أشهر ملاكها زوسر الذي ركز على ضرورة الوحدة، وأكد على إقامة التوازن الإنسجام بين شعبي الشمال والجنوب وعلى الرغم من الجهود الكثيرة ظهر الضعف في السيطرة الملكية واضمحل النظام الإداري وانتقلت السلطة إلى حكام غير ملكين وكان ملك الناس من أواخر ملوك هذه الأسرة.

عصر البطالمة

مصر البطلمية من أكبر القوات العالمية في ذلك الوقت وكانت إحدى القوى الكبرى في العالم الإغريقي ويشير التاريخ إلى أن سطوتها امتدت إلى سوريا وآسيا الصغرى وقبرص وليبيا وقينيا وقد كانت الملكة كليو باترا هي آخر ملوك البطالمة، وبعد مدة من موتها استولت الإمبراطوية الرومانية على مصر وحولتها إلى مقاطعة رومانية وكانت مصر مهمة جدا بالنسبة للإمبراطورية الرومانية وفي هذه الفترة نشأت اللغة القبطية في مصر.

الدولة الإسلامية

وفي عام 642م غزا المسلمون مصر وفتحوها وبدأ صفحة جديدة في تاريخ مصر، وغير المسلمون العاصمة حينما استحوذوا عليها من الإسكندرية إلى الفسطاط وهي مدينة بناه عمرو بن العاص وبعد احتلال العرب مصر حدثت تغيرات جذرية تارخية وأخذت عقيدة الإسلام الوحدانية محل العقائد الأخرى القديمة وبدأالمصريون يدخلون الإسلام أفواجا حتى نشأ في مصر مجتمع إسلامي جديد.

الفاطميون

في عام 969م استولى الفاطميون على مصر وقاموا بوضع أساس مدينة القاهرة كعاصمة لهم وقاموا ببناء أول جامعة إسلامية في العالم وهي تعرف بجامعة الأزهر في نفس هذا العهد أصبحت القاهرة مركزا إسلاميا ثقافيا عظيما.

الدولة الأيوبية

قامت الدولة الأيوبية في مصر عام 1161م وكان السلطان صلاح الدين الأيوبي من أشهر وأعظم القواد في وقته وأكثر قوة وعظمة، ثم جاء الملك الكامل وحكم إلى 1238م ثم الملك الصالح ثم ظهر الفساد في الدولة واضمحلت اضمحلالا حتى أجهر المماليك قيام دولتهم.

دولة المماليك

أقام المماليك حكومة قوية عظيمة ومليئة بالفنون والأداب وترقت تجارة مصر إلى حد بعيد وكان من أقوى أمرائهم قطز الذي منع حملات المغول وهزمهم.[9]

[9] عمر الاسكندري ، تاريخ مصر إلى الفتح العثماني ، الطبعة الرابعة ، مطبعة المعارف ، مصر

الدولة العثمانية

شهد القرن السابع عشر قوة وعظمة الإمبراطورية العثمانية حتى وصل تسللهم إلى جزء كبير من العالم الإنساني، وكانت مصر لم تستطع أن تخل من ذلك حتى بقيت تحت سلطتها لقرنين كاملين إلى أن ضعفت الإمبراطورية العثمانية ، و دخل العثمانيون القاهرة في 23 يناير 1517م و وتحولت مصر تابعة للقوة العثمانية، وقد وضع السلطان العثمانى نظاماً للحكم فى مصر يقوم على تقسيم السلطة فيها بين ثلاثة هياكل متنافسة حتى لا تستقل واحدة منها بالسلطة ودخلت مصر بالغزو العثمانى فى إنحطاط عميق لمدة ثلاثة قرون لم يكن لها فيهم شأن يذكر فى التاريخ.[10]

حملة نابليون

غزا نابليون مصر في عام 1798 إلا أنه لم يستطع على أن يسيطر على مصر كلها ولم يستطع الفرنسيون أن يبقوا في مصر سوى عدة سنوات إلا أن لهذه الحملة تأثير كبير على تاريخ مصر المعاصر ويمكن أن نقول هي نقطة التحول في التاريخ المصري الجديد، الحملة الفرنسية حملت إلى مصر أفكاراً سياسية واقتصادية وثقافية، وصفها بعض المؤرخين بأنها كانت صدمة حضارية وثقافية للشعب المصرى، وخاصة الطبقة الوسطى. فقد أنبأت فكرة الدواوين الشعب المصرى على فكرة الشركة فى القوة، بدلاً من فكرة الحكم المستبد، وفكرة المجمع العلمى، كانت نافذة، إطلع منها المصريون على ما يجري فى أوروبا، من تقدم وحضارة فى العلوم.

[10] جرجي زيدان ، مصر العثمانية ، دار الهلال ، لبنان

محمد علي

وفي عام 1805 صار محمد علي حاكما على مصر كان رجلا ذا همة عالية وكان يحب العلم والتعليم وكان يحلم أن يحول مصر إلى بلاد حديثة حتى بذل الجهود كلها في مختلف المجالات من السياسة إلى التعليم من أجل تحقيق حلمه. وأقام المدارس الجديدة والكليات الحديثة ودعا الأساتذة من الدول الغربية للتدريس في مصر وأرسل الطلاب المصريين إلى مختلف جامعات أوربا، و قام بإنشاء مشروعات صناعية.

قام محمد علي بتشكيل جيش حديث من المصريين لكي يقوموا بالدفاع عن وطنهم ولكي يحصل علي المبلغ لتجهيز الجيش والأسطول وشدد من سيطرته علي تجارة الواردات والصادرات وأسس نظام الاحتكار، وبذلك استطاع محمد على تثبيت أركان حكمه، وأنشئت أول مدرسة حربية سنة 1820م. وفى سنة 1823م كان التشكيل الأول للجيش المصري وكان مكونا من ست كتائب ثم إزداد عدد هذه الكتائب فيما بعد وأخذ الجيش المصري يواكب أحدث النظم العسكرية فى العالم فى ذلك الوقت ،وقد ساعده هذا الجيش في تنفيذ سياسته الطموحة في تشكيل امبراطورية واسعة المدى في البلاد التي تتكلم اللغة العربية وتتكون من مصر والسودان والشام والعراق وشبه جزيرة العرب لتكون ضمانا قويا للصيانة على سلامة المنطقة من الاطماع الاوروبية النجسة وخطر التقسيم ولانتشار.

قام بتأسيس مدارس التعليم الحديث فى مصر على الرغم مما واجه من صعوبات بالغة ومشكلات عظيمة و ومن هنا أنشأ نظام التعليم الحديث في مراحله الابتدائية والتجهيزية والخصوصية وأنشأ أيضا المدارس المختلفة لتعليم أبناء الشعب المصرى ومنها المدارس الحربية ومدارس الموسيقية والعسكرية وما إلى ذلك من المدارس والكليات ، كان هناك عدد كبير من المدارس الأخري مثل مدرسة الألسن ومدرسة الولادة ومدرسة الطب أو مدرسة

القصر العيني ومدرسة الطب البيطري ومدرسة الزراعة وغيرها من المدارس ، واهتم أيضا بالصناعة التى تطورت تطورا كثيرا فى عهده والتى تحولت إلى ثاني عماد للحكومة بعد التعليم بكافة أنواعها وبخاصة الصناعات الحربية لمنافسة الأنظمة والهياكل التى كانت موجودة بأوروبا وحتي لا تعتمد مصر على جلب احتياجاتها من الخارج ، وهكذا تم إنشاء العديد من المصانع وكان أول مصنع حكومي بمصر هو مصنع الخرنفش فى سنة 1816م، ثم بدأت تتوالي المصانع سواء الحربية أو غيرها، والأمر الذى أدي محمد إلى اتباع سياسة خاصة للنهوض بهذه المصانع بدأها أولا بإستيراد الخبراء والصناع الماهرين من البلدان الأوربية لتجهيز كوادر مصرية من رؤساء وعمال وصناع وفنانيين وإحلالهم محل الأجانب تدريجا.

كذلك قام محمد علي نحو الزراعة باهتمام كبير فأقام مشروعات كبرى لتنظيم المياه كالقناطر الخيرية وترعة المحمودية التي امدت الاسكندرية بمياه النيل ، وأدخل المحاصيل النقدية إلى مصر لاسيما محصول القطن , وكذلك بعض المنتجات الأخرى المستخدمة فى الصناعة.

حرص على النهوض بمصر فى كافة المجالات الأخرى وبخاصة فى العمارة التى تميزت بطرز حديثة وافدة على مصر كان أغلبها غربي نظرا لإيراد محمد على للعديد من المهندسين والأطباء والعمال الأجانب لتأسيس العديد من المؤسسات سواء الدينية أو المدنية أو الحربية.

إتسم عهد محمد على باشا بالتغيير فى التنظيم والهندسة فى العمارة ممثلة فى أنه أصبح لائحة للتنظيم حيث فتحت الحارات والدروب وسهل المرور بها , وصار الناس بمصر يتبعون فى مبانيهم المناهج المعمارية الجديدة .

الاحتلال البرطاني

يبدأ تاريخ الاحتلال البريطاني من المعركة في 1882من الميلاد حندما قامت القوات البريطانية بهزيمة الجيش المصري وهذه المعركة تعرف بحرب تل الكبير وقد بقي الاحتلال البرطاني لمصر إلى عام 1954م، وعلى الرغم من أن الخديوي توفيق استمر في الحكم كحاكم رسمي لمصر إلا أن الإنجليزيون كانوا حكاما حقيقيون للبلاد من خلال المندوب السامي البرطاني وكان أول وأعظم هدف الإنجليز الحصول على القطن المصري ذو النوعية الجيدة.

الضباط الأحرار وثورة 23 يونيو 1952

الضباط الأحرار هم مجموعة من الضباط في الجيش المصري الذين ساهموا في تخطيط ثورة 23 يوليو 1952م، وعلى رأسهم جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وأنور السادات وعبد اللطيف، وحسين الشافعي وكمال الدين حسن والسبب خلف هذه الثورة هو انقاذ مصر من السيطرة العائلية والأسرة الحاكمة من سلالة محمد على باشا وكان أبرز قائد هذه المجموعة جمال عبد الناصر الذي نظمهم ونسقهم ووحدهم، وكان يعرف جيدا أن الجهاز الإداري الحكومي قد فسد وكانت الرشوة قد فشت، ولا يوجد أي نوع من الاستقرار السياسي حيث تغيرت أربع حكومات مصرية من 26 كانون ثاني حتى 23 يوليو في عام 1952م، وعلى جانب آخر أن الجيش المصري قد انهزم في فلسطين ، وكان هناك مطالبات جلاء الإنجليز من مصر لأن المصريين كانوا قد توجعوا من انتشار النفوذ الأجنبي في معظم مجالات الحياة، حتى تنفر العامة من السيطرة الإقطاعية وكانوا يريدون التخلص من السيطرة الإقطاعيين على أغلبية الأراضي الأسباب الفورية لثورة 1952 هي تدهور الأوضاع في أعقاب المصادمات بين الشرطة في الإسماعلية وبين القوات الإنجليزية وغضب

الجماهير وإشعالهم والصدام مع الشرطة ومقتل عدد كبير من المصريين وكل شيء ساعد الضباط الأحرار عامة وجمال عبد الناصر خاصة لإعلان حكومتهم وغلبتهم على مصر.

وعلي الرغم من أن جمال عبد الناصر كان على رأس هذه الثورة إلا أنه اختار محمد نجيب رئيسا للجمهورية وبقي رئيسا إلى أن ظهر الإختلاف بينه وبين الضباط الآخرين مما أدى إلى إقالته الجبرية وتولى منصب رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر سنة 1954م. استولى عبد الناصر على عرش مصر بالوعود والأحلام وكان سكان مصر غارقين في الفرح والسرور وكانوا يتمتعون بالحرية والاستقلال والجمهورية وبدأوا يحلمون بالاستقرار السياسي ، والعدل الاجتماعي، والرقي الاقتصادي والمستقبل المشرق لأن أهداف الثورة كانت عظيمة في أعينهم وكانت الحرية من الاستعمار والنفوذ الأجنبي، والقضاء على الاحتكار والإقطاع، وإنشاء نظام ديموقراطي وتحقيق العدالة الاجتماعية والقضاء على المحسوبية والرشاوي، وإنشاء جيش قادر على دفاع مصر والنهوض بالإنتاج الوطني والاستغلال الصحيح للموارد المصرية واستعمالها في التعمير والبناء والرقي الشعبي.

مصر من الناصر إلى مبارك

بعد ثورة 1952م واستيلاء جمال عبد الناصر علي مصر، قد تغيرت مصر إلى حد كبير، والانقلاب العسكري الجديد نفخ في الناس روحا جديدة وفاعلية عظيمة، وحرارة مدهشة، وبدأت الحكومة الجديدة تعمل على وضع الخطط التنموية للنهوض في مختلف المجالات، بما فيها إنشاء السد العالي وبناء المؤسسة العسكرية لمقاومة الخطر الصهيوني الكبير، لكن القوات الأوربية والغربية رأت في هذ التخطيط خطراً عظيما يهدد مصالحها فأخذت تضغط على القيادة المصرية من خلال توقيف مشروعات التمويل ومنع الدعم والمساعدة، ومنع إمدادها بالسلاح فكان الجواب المصري قطع قيد احتكار السلاح والإعلان الواضح

عن تأميم قناة السويس؛ فشهدت مصر العدوان الثلاثي في أكتوبر من العام نفسه، وقامت فرنسا وبرطانيا وإسرائيل بالغزو على مصر في يوم 29 أكتوبر عام 1956 فاحتلت القوات الإنجليزية والفرنسية مدينة بورسعيد ولكنها لم تقدر على التقدم نحو الإسماعيلية بسبب شدة المقاومة المصرية. وأرغمت البلدان المعتدية على الانسحاب من مصر بعد أن وقف العالم برمته إلى جانبها وبلغ المد القومي قمته حينما وقفت الثورة المصرية ممثلة بقائدها جمال عبد الناصر بالاضافة إلى حركات التحرر في جميع أنحاء الدول العربية.

وجاء قيام الوحدة السورية - المصرية في فبراير 1958م وأضحي جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة، ويتجلى أن قوانين التأميم التي صدرت في فترة قيام الوحدة أضرت بمصالح بعض الجماعات التي كانت على صلة ببعض الأنظمة العربية المحافظة والتي رأت في هذه الوحدة خطورة على تنظيماتها الملكية فقامت بحركة الانفصال في سبتمبر 1961م وكان هذا أحد أسباب حركة الانفصال.

وفي العام القادم وقفت مصر إلى جانب اليمن في ثورتها فتعرضت العلاقة المصرية السعودية لأزمات شديدة استمرت طوال عهد عبد الناصر، وفي عام 1967م تعرضت سورية مرة ثانية للتهديدات من جانب إسرائيل فأعلن عبد الناصر وقوفه إلى جانبها وأغلق خليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية، لكن إسرائيل باغتت الوطن العربي بإعتدائها الخاطف في اليوم الخامس من شهر يونيو 1967م واحتلت شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة إضافة إلى مرتفعات الجولان والضفة الغربية، فقدم عبد الناصر استقالته من منصبه يوم 9 حزيران لكنه عاد عنها بضغط من الجماهير داخل مصر وخارجها.

واستطاع الضباط الأحرار أن يقوموا بقيادة الثورة والاستيلاء على الحكم وإعلان الجمهورية، وقد تطورت الجمهورية المصرية بشكل كبير في ظل حكم جمال عبد الناصر،

من حيث إعلان قوانين للإصلاح الزراعي، والتنمية الاقتصادية، والاجتماعية، وتم إنشاء السد العالي الذي تم اعتباره أحد أهم عشرة مشاريع في القرن العشرين ومرت مصر بتغيرات جذرية في كل مجال الحياة من السياسة إلى التعليم وبدأت هذه الإصلاحات بإلغاء الدستور 1923م وإبطال الملكية وإعلان الجمهورية ، وفي عام 1956م قدم دستور جديد معروف بدستور 1956 والمرة الأولى في تاريخ مصر نالت المرأة الحقوق المختلفة ويجدر بالذكر هو أن الاشتراكية العربية ظهرت أول مرة في العالم العربي، والقضاء التام على الاستعمار قد بدأ حيث نرى أن اتفاقية الجلاء قد وقعت سنة 1954م ثم تم إلغاء اتفاقية 1936م وجلاء القوات البرطانية جلاء تاما خلال عشرين شهرا، أما تأميم قناة السويس فهو أكبر إنجاز بعد الثورة لأن هذا التأميم كان تحديا مباشرا لأكبر قوات العالم البرطانيا العظمى وكيف يمكن لها أن تبقى صامتة بعد هذه الجرأة المصرية لأنها تعتبر قناة السويس ملكا لها لكن جمال عبد الناصر قد تهيأ لهذه العملية ففي تموز 1965 رفض بريطاني والدول الأخرى تمويل مشروعات اقتصادية في مصر وفي نتيجة ذلك واجهت مصر المهاجمة القوية والاعتداء السريع من القوات البرطانية والفرنسية والإسرائيلية لكن التدخل الأمريكي والسوفيتي أجبر هذه القوات علي أن تنسحب أفواجهم من السويس مما أدى تحقيق النجاح في تأميم القناة السويس.

أما التغيرات في المجال الاقتصادي بعد الثورة فهي تحققت باهتمام الحكومة المصرية إرتفاع الدخل من خلال تطوير الصناعة وبإعداد برنامج الخطط الخماسية وإقامة المشاريع الضخمة وتوفير فرص العمل لطالبيه وتذييع الاستثمار بمقصد زيادة الدخل ولاسيما بتحرير النظام الاقتصادي من الإحتكار الأجنبي والقيام بتأميم المؤسسات الاقتصادية الضرورية.

كان جمال عبد الناصر مولعا بأن تصل مصر إلى قمة الرقي الاقتصادي ، بجانب كونها

قادرة على صنع كل نوع من الاسلحة الجديدة لكيلا تحتاج مصر إلى القوات الأجنبية، فمن أجل تحقيق هذا الحلم اهتم اهتماما بالغا في إقامة المشاريع الصناعية الضخمة كسد أسوان لانتاج الطاقة الكهربائية ومشروع الحديد والصلب وصناعة السماد، وأنشأ جيشا مصريا حديثا مزودا بالأسلحة الحديثة وأسس الصناعات العسكرية الحديثة لإنتاج الأسلحة الحديثة

أما التغيرات التي تتعلق بالمجال الاجتماعي فهي كثير جدا بداية من إلغاء نظام الاقطاع وإعطاء الحرية للفلاح من استبداد التبعية إلى فتح أبواب الوظائف الحكومية لدى الجمهور بدون أي تمييز، وقام جمال عبد الناصر بالإصلاحات العظيمة في الجيش حتى تولى أبناء الفلاحين أعلى المناصب حسب الكفاءة والمهارة، وفتح مجال التعليم للفقراء وبذل كل جهد لكي يؤفر لهم التعليم مجانا على نفقة الحكومة.

المجال الزراعي هو مجال ركز عليها جمال عبد الناصر تركيزا خاصا وسن عام 1952م قانون الإصلاح الزراعي لتحديد الملكية بـ 200 فدان وقسمت الأراضي الصادرة على الفلاحين ومنح لكل فلاح بين 25 أفدنة وإن لم يستفد منه الكثير لكن كانت المبادرة العظيمة والإنجاز الكبير الذي ساعد الشعب المصري لكي يعرفوا حقيقة الحرية والملكية ولكي يدركوا أن لهم أيضا في مصر مكان وحقوق متعددة وقامت الدولة المصرية بزيادة الانتاج الزراعي من خلال توفير الوسائل الحديثة وزيادة مساحة الأراضي المزروعة.

التغير في السياسة الخارجية

السياسة الخارجية لأي بلاد تمثل مشاعر وأحلام وأهداف القيادة السياسة التي تسيطر عليها وهكذا تمثل الأفكار والأيدولوجيات التي تعد هذه القيادة للمستقبل وإذا ألقينا النظرة على مصر بعد 1952م فقد أصبحت ثورية مليئة بالحيوية والحماسة وكانت قيادتها تريد

انتشار فكرها وأيدولوجيتها وكان عبد الناصر يحلم بأن يوحد العالم العربي من السودان إلى العراق، وكان يشاء أن يقيم جبهة عربية متحدة تشمل جميع البلدان العربية، وكان يريد أن يوسع دائرة الحكومة فحاول في البداية أن تندمج سودان بمصر لكنه لم يحدث هكذا لأسباب كثيرة وكان أكبر السبب هو رفض سودان لهذه الاتفاقية لكنه في 1958م تحولت مصر وسوريا إلى الجمهورة العربية المتحدة واختير جمال عبد الناصر رئيسا لدولة الوحدة غير أن هذه الوحدة لم تستمر إلا ثلاث سنوات حتى انقسمت سوريا عام 1961م لمختلف الأسباب لكن جمال عبد الناصر لم يقف هنا بل سعى إن ينشر الحماسة المصرية الجديدة والفكرة الثورية في البلدان المجاورة وكان له فلسفة سياسة واضحة وكان يريد أن يقلع الاستعمار ويحرر البلدان العربية من الاستبداد الغربي ويقيم الوحدة العربية الشاملة.

ونشأ جمال عبد الناصر وسط ظروف الاستعمار الإنجليزي ، وشاهد السياسات الاستعمارية المستبدة الاعتدائية وعايش الأحداث الكبيرة التي حدثت في شبابه ولاحظ هيمنة المستعمر الأوربي على البلاد و تقاعس موقف الملك فاروق، وهذه الحوادث أثرت تأثيرا بالغا على أفكاره واتجاهاته المناهضة للظروف المحيطة فارتبط بالعمل السياسي منذ الطفولة وكان يساهم في مظاهرات الطلاب ضد الاحتلال وسياسة الحكومة، وحينما اندلعت حرب فلسطين عام 1948م عزم مجموعة من الضباط على تحديث تنظيم سري في الجيش باسم تنظيم الضباط الأحرار، وكان على رأس ذلك جمال عبد الناصر وفي 1952م وقعت ثورة يناير وأصبح محمد نجيب أول رئيس لجمهورة مصر العربية، لكن بعد سنتين أي في عام 1954م استقال محمد نجيب وأصبح عبد الناصر رئيسا للجمهورة المصرية.

جمال عبد الناصر بصفته رئيسا قام بانجازات عظيمة ونال مكانا عظيما في قلوب المصريين في تاريخ مصر الحديث سواء هو تأميم قناة السويس ، أو إنشاء السد العالي على نهر النيل، او قوانين الإصلاح الزراعي وتحديد الملكية الزراعية وتأميم البنوك الخاصة

والأجنبية في مصر، والتوسع في التعليم المجاني على كل المراحل، وهذه كلها انجازات عظيمة ولا يمكن إنكارها لكن أكبر إنجاز عبد الناصر هو إفراج الاستعمار الانجليزي من مصر وعدم الاستسلام أمام اعتدائه وتبنى مشروع الوحدة الوطنية، والمبادرة للاتحاد العربي والإسلامي ومساندة الحركات الثورية في البلدان العربية.

وكان عام 1970م بداية العهد الجديد في تاريخ مصر الحديث وهو العام الذي توفي فيه جمال عبد الناصر الملقب "بالزعيم " ويتولى على عرش مصر محمد أنور السادات، وتعتبر شخصيته جدلية بتميز ومن الناس من يؤيدون سياسته ويعتبرون السادات رئيسا عربيا الأكثر جرأة وواقعية في التعامل مع قضايا المنطقة ومعالجة المشاكل الفلسطينية ويرون أنه حرر مصر من براهين الدولة البوليسية ومراكز القوى، وقام بالإصلاحات الجذرية في الاقتصاد المصري ولعب دورا هاما في ازدهاره.

ومن جهة أخرى يوجد هنا النقاد والكتاب الذين يتهمونه بتدمير المشروع القومي العربي وتحديد الدور الإقليمي المصري في المنطقة وأضف إلى ذلك القضاء على مشروع النهضة الصناعية والاقتصادية وتقويض قيم المجتمع المصري، وكان السادات مختلفا عن جمال عبد الناصر لا يرى إلى المجتمع مثلما يرى عبد الناصر، ففي عام 1971اتخذ قرارات شكلت منعرجات هامة في تاريخ مصر وبدأ بثورة تصحيح الناصريين السياريين وذلك بأن هؤلاء الناصريين حاولوا الخروج عليه وبعد أن فرغ السادات من القضاء على خصمه السياسي، بدأ الإصلاحات الضرورية في الجيش المصري واستطاع الاستغناء عن قرابة 17 ألفا من الخبراء الروسين الذين كانوا يتمركزون في الجيش المصري ويكونون عبئا ضخيما عليه وفي عام 1973م شهد المجتمع المصري حربا أخرى مع إسرائيل تعرف بحرب أكتوبر عندما استطاعت الجيش المصري كسر خط بادليف وعبور قناة السويس فشهدت مصر أول فتح عسكري في العصر الحديث.

وبعد انتصار أكتوبر عام 1973م والذي أدى إلى إرجاع مصر لأراضيها المحتلة كاملة هو الإنجاز الأكبر للرئيس محمد أنور السادات وكانت هذه الحرب فتحا ضد الجيش الإسرائيلي ففي أيام قلائل أصبح السادات بطلا من أبطال العرب ونال التقدير والاحترام بين الأوساط العربية، ثم قرر بعد ذلك أن يقوم بالتخطيط لنهضة مصرية شاملة فاتخذ قرار انفتاح الاقتصاد المصري لكنه من المعلوم أن السرعة في تنمية الاقتصاد المصري التي وجدت في عهد عبد الناصر والنهضة الاقتصادية التي حصلت في عهد عبد الناصر لم تستمر في عهد الرئيس السادات بأي نوع من الأنواع وحينما تولى جمال عبد الناصر رئاسة مصر عام 1954م كانت مصر بلادا فقيرا متخلفة صناعيا وقام عبد الناصر بعدد كبير من المبادرات والخطوات للعمل على تحسين الوضع الاقتصادي المصري الذي شهد تدهورا كبيرا في العقود الماضية وشهدت مصر في رئاسة عبد الناصر نهضة اقتصادية وصناعية كبيرة كان الاقتصاد المصري عاجزا إلى حد كبير والسبب خلف ذلك التسلط الأجنبي والتدخل الخارجي في الشؤون الاقتصادية المصرية، وتضاعف بسبب ارتباطه بالمصالح الأجنبية عن طريق شركات التأمين والتجارة الخارجية والبنوك حتى يمكن لنا أن نقول أن جميع فوائد الاقتصاد المصري كانت في قبض الأجانب واليهود لكن جمال عبد الناصر كان زعيما ذا بصيرة ورؤية وكان ينظر إلى العالم بعين الحرية والاستقلال لا يمكن له أن يترك مصر على هذه الحالة فبدأ في اتجاه جديد للدولة نحو السيطرة على مصادر الإنتاج ووسائله وذلك من خلال التوسع وتأميم البنوك الخاصة والأجنبية العاملة والشركات والمصانع الكبرى وقام بإنشاء العديد من المشروعات الصناعية الفخمة واهتم اهتماما بالغا بإنشاء المدارس والمستشفيات ووفر فرص العمل لسكان مصر.

أما الاقتصاد المصري في عهد السادات فانهارت الصناعة المصرية ووصل الاقتصاد المصري إلى أدنى مستوياته وأضف إلى ذلك إندثار العملة الصعبة من البلاد للدرجة التي

وصلت إليها من العجز عن دفع فوائد الديون المرتفعة التي لم تعرف مصر مثلها من قبل. فقام السادات بمبادرة حل مشاكل الدولة الداخلية وأعد مصر لخوض حرب 6 أكتوبر 1973م وهي الحيلة القديمة لتحويل الالتفات وانتباه الجماهير عن القضايا الحقيقية والمشاكل الاقتصادية و في ذلك نتيجة ارتفعت معدلات البطالة وانفجرت مستويات التضخم بشكل كبير جدا وذلك بأن السادات ما كانت لديه أنظمة منسقة لإدارة اقتصاد الدولة ولا يوجد أي تخطيط أو دراسات، غير أن من الحقيقة أن معدل الناتج القومي كان مرتفعا جدا عند رحلة السادات وذلك بسبب ارتفاع معدل الهجرة إلى البلدان الخليجية.

لكن الانتصار في حرب أكتوبر 1973م شيء لم ينس المجتمع المصري ولم يفتقد السادات الاحترام والوقار الذي حصل عليه في عيون الجماهير المصرية لكن عام 1977م حدث في مصر حادث حير العرب وأدهش المصريين وهو زيارة السادات إلى القدس والمبادرة إلى اتفاقة السلام مع إسرائيل وفي عام 1978م قام السادات برحلته إلى الولايات المتحدة وتم التوقيع على اتفاقية كامب ديفد بينه وبين رئيس وزراء إسرائيل مناحم بيكن بعد 12 يوما من المفاوضات في كامب ديفد، و جلجلت هذه الاتفاقية احتجاجا كثيرا في الدول العربية وتم إلغاء عضوية مصر في جامعة الدول العربية، وتقرر نقل المقر للجامعة العربية من القاهرة إلى تونس، وهكذا فقد السادات مصداقيته وشعبيته بين المصريين وخرج الآلاف من المصريين في الشوارع منادين بهتافات وشعارات ضد الدولة لصلحها مع إسرائيل فقامت الحكومة بحملة الاعتقالات الواسعة فسجن آلاف من النشطاء السياسية والكتاب والصحفيين والمفكرين الذين ينتمون إلى مختلف الأيدولوجيات حتى تخرب الوضع تخربا كثيرا وفي عام 1981م شهد المجتمع المصري اغتيال الرئيس السادات على يد خالد الإسلامبولي وسط عرض عسكري بمدينة نصر بالقاهرة.

ومن هنا تدخل مصر في عهد سياسي جديد والتجربة السياسية الجديدة في رئاسة

حسني مبارك، عهد مبارك يمتاز بالانهيار الاقتصادي والفساد والبطالة والركود والديون، كان ارتفاع الأسعار في عهد مبارك ازداد إلى حد كبير حتى عجز كثير من الموظفين عن تلبية احتياجات أسرهم فلا تسئل عن الجماهير الذين لا يمتلكون وظيفة حكومية أو لا يوجد لديهم أي علم تجاري، و عانوا من كل أنواع الحرمان من الغذاء والمأوى والتعليم الجيد والرعاية الصحية الكاملة، وشريحة الفقراء في مصر امتدت واتسعت إلى غاية كبيرة وكان 1 %من الأغنياء يسيطرون على نصف الثروات، ونسبة الفقراء وصلت إلى حوالي 50 %من الشعب المصري عام 1977م حيث نرى أن العلاقات المصرية والإسرائيلية تحسنت في عهد مبارك رغم وجود المشاعر المخالفة بين المصريين ضد إسرائيل وسياسة اعتداتها على الشعب الفلسطيني.

أما السياسة الخارجية المصرية في عهد مبارك فهي نفس السياسة التي بدأ السادات وتحسنت علاقات مصر مع جميع الدول العربية بعد أن واجهت مقاطعة سياسية منذ اتفاقية كامب ديفيد ونالت مصر أيضا عضويتها مرة ثانية في الجامعة العربية وعاد مقر الجامعة إلى القاهرة وبقيت مصر في عهد مبارك بعيدة عن أجواء التوتر والحروب والخوض في المعارك وواجهت حكومة مصر انتقادا شديدا من قبل الأوساط العربية لعدم فتح الحدود مع غزة فإن هذا القرار الذي أغضب المسلمين على المستوى العالمي في ناحية جعل مبارك محبوبا وبطلا في أعين إسرائيل وحلفائها الأوربية.

الأمية وقضية التعليم في مصر

لا تزال أهمية التعليم محل جدل في أي منطقة من مناطق هذا العالم فالتجارب العالمية المعاصرة تدل على إن بداية التقدم الحقيقي في العالم هي التعليم والبلدان التي ازدهرت

قد تقدمت من بوابة التعليم وجوهر الصراع في العالم قد وقع فيه تغير عظيم حيث أصبح سباق في التعليم، وان نعتبر ذلك صراعا سياسيا اقتصاديا أو عسكريا، فالجهود هو صراع تعليمي لأن في النهاية يأتي التقدم والإزدهار عن التعليم.

أهمية التعليم ودوره التاريخي في تنمية الأفراد

التعليم يساعد على رقي الأفراد اجتماعيا ويزيد فرص الإستقرار الاجتماعي بين أفراد المجتمع ويساعد المجتمع على استخدام موارد الثورة وأهم المشاكل التي عانت مصر منذ بداية الثورة عام 1952م هي الأمية، وعلى الرغم من تبني مصر لسياسة مكافحة الأمية لكن كل خطط مكافحة الأمية فشلت في تحقيق هدفها، والتعليم المصري منذ ذلك الحين يعاني من انعدام الجودة النوعية الجيدة والمنهج الواضح على المستوى الإبتدائي والثانوي والعالي وانتشار سوق الدروس الخصوصية انتشارا واسعا، ونقصت العمالة الماهرة وشبه الماهرة وأصبحت جودة التدريب ضعيفة للغاية واعتبرت ذلك مشكلة عامة في الشركات الصغيرة المتوسطة والصناعات الكبيرة ويعاني النظام التعليمي المصري منذ السنوات من المشاكل والتحديات اللامحدودة، والتي تعتبر حاجزا حقيقيا ومعضلة أساسية أمام العملية التعليمية وتطورها والتحديث والتنمية الشاملة.

وهذه المشاكل هي كثرة المدرسين غير المؤهلين تعليميا وتربويا بشكل مناسب والرواتب التي يحصل عليها المدرسون قليل جدا ولا يمكن للمدرس أن يكفل أسرته بهذا الراتب وهذا الشيء يقلق ويستفز المدرس. أما الطلبة المصرية فمعظمهم لا يوجد فيهم الثقة في قيمة التعليم والنجاح في المستقبل ولذا عجزوا عن أظهار ما لديهم من قدرات وصلاحيات خلاقة نادرة وذلك بسبب عدم الثقة بأنفسهم. ومن أهم المشكلات الأخرى هي قلة الأمكانيات والفرص العلمية وعدم الدعم الحكومي وإذا ألقينا النظرة على المنهج التعليمي نجد أنه

يعتمد على الحفظ والتلقين النظري وليس الجانب التطبيقي وهذه المشاكل ترجع إلى الأسباب المختلفة.

إن الدعم السياسي الذي تجلي في بداية الإصلاح التعليمي قد ندر عن المشهد بسرعة بالغة، ولم يرق في تعامله مع هذه القضية إلى مستوى قضايا الأمن القومي ولم يرى إليها بعين الاعتبار والرعاية لا من ناحية التميل أو من ناحية المناهج القانونية التي توجه نحوه التعليم كقضية أمن قومي وعدم مراعات رؤية المؤسسة التعليمية للإصلاح الجماعات الأضعف والفئة المحرومة ووجود الهيمنة المدمرة وسيطرة المقاصد والأهداف الطموحة على المستوى الكلي على رؤية ولا يوجد هناك أي نوع من الربط بين مخرج العملية التعليمية ومطالبات سوق العمل الابتدائي والثانوي. والأعداد تعتبر أهم المشاكل التي ألغت الإصلاحات والتحسنات، و في عام1951م 35000 من الطلاب كانوا يدرسون في الجامعة وفي عام 1969م وصل عدد الطلاب إلى 140000 بالإضافة إلى 53000 في الأزهر والمعاهد العالية، والإصلاحات في الأزهر والسعي إلى استيعابها داخل المؤسسة التعليمية إلى نهاية مرحلة التعليم الأساسي القائمين وغياب الأهداف العملية الضرورية المحددة باتقان خلال فترة زمنية معقولة.

نال التعليم العالي اهتماما كبيرا وعانى من نفس المشاكل التي كانت موجودة في التعليم الثانوي وحول الجامع الأزهر إلى الجامعة من المؤسسة الدينية مع أقسام المادات الأخرى الإضافية والتعليم الجامعي له جاذبية بالغة في مصر وهو يعتبر جواز السفر للحصول على عمل كبير، وشجعت الحكومة هذا الاتجاه من خلال توفير التعليم العالي مجانا، وتخطيط عدد من الجامعات الجديدة وفتح أبواب الجامعات والسماح للطلبة غير الجامعية أن يحصلوا على الشهادات الخارجية لكن هذه الخطة لم تجلب نتائج مثمرة بل فرضت على ممتحنين الحمل الإضافي كما أصبحت العديد من مؤسسات التعليم العالي تدريجا

جامعات عادية غير القادرة و كليات الآداب والعلوم الإنسانية، وتلقي المحاضرات على المئات من الطلبة الذين يزدحمون وعدد كبير من الطلاب يفرضون الضغوط المختلفة على المدرسين لا سيما في قاعة المحاضرة جالسين على السلم والدرج وعتبات النافذة والممرات خارج الغرفة ومثل هذه الأوضاع لا تشجع الأساتذة في الجامعات وهم يضطرون إلى الهجرة هجرة دائمة إلى أوربا أو هجرة مؤقتة إلى دول الخليج وهذه الظروف والأحوال تنتج خريجين محبطين.

وهذا ليس من المفاجئة أن الطلاب الجامعية تكون دائما على رأس الإحتجاج السياسي كما أن من المعلوم أنه الطلاب تحدوا جمال عبد الناصر بعد هزيمة 1967م وكانوا لا يزالون على رأس المظاهرات في نظامي السادات ومبارك.

الباب الثاني:

استعراض أهم أعمال صنع الله إبراهيم

استعراض أهم أعمال صنع الله إبراهيم

أعمال صنع الله إبراهيم الأدبية تتميز بإثارة الأحاسيس و المشاعر الاجتماعية و إيقاظ الجماهير من سباتهم و نفخ فيهم روح الوعي السياسي ضد القوات السياسية العظيمة التي تحاول غزو العالم الثالث اقتصاديا عن طرق مختلفة بانضمام الشركات متعددة الجنسيات. فمثلا روايته "شرف" تتناول تدخل السياسة الأمريكية في شؤون مصر وتحتوي على الفقرات الطويلة التي تنتقد شركات المخدرات الضخمة و سياساتها في العالم الثالث ، كما أنه في بيروت بيروت يتكلم عن الحرب الأهلية اللبنانية في السبعين والثمانين و روايته الأخرى "وردة" تعالج العمليات و نشاطات اليساريين في اليمن و عمان.

وقد اكترثت أعمال صنع الله إبراهيم بالواقع العربي في مظاهر إلتهابه وتشكُّل قضايا مجتمعاته التحررية و مراقبة إرباكاته وانقساماته. يبدو ذلك علي سبيل المثال في رواية (وردة)، التي تعالج الثورة العربية الاشتراكية الغائبة عن أذهان الناس ومحاولة جمهرة سلطنة عُمان في الستينيات بواسطة الثوريين الاشتراكيين.

ظهر اهتمام الباحث بالخطاب الروائي عند صنع الله إبراهيم. كخطابٍ أدبي، له صلة قوية بالواقع المصري، والذي يحاول من خلاله أن يؤرِّخ قضايا الواقع المجتمعي، أو أن ينشأ نظرةً شاملة تسعي للتفكير والتأثير في البعض من المتغيرات.

صنع الله إبراهيم ألقى الضوء في رواياته المختلفة علي العديد من الأحداث والوقائع

وتحدث عن شوارع القاهرة وأزقتها كأن عليه المسئولية تجاه مصر وهو الابن البار لها وتناول لبنان في روايته "بيروت،بيروت" التي تتناول احداث الحرب الاهلية اللبنانية، ورواية "وردة" التي تتحدث عن التجربة التاريخية لجبهة تحرير ظفار في عمان . وروايات "تلك الرائحة"، "أمريكانلي"، "نجمة أغسطس"،"اللجنة" التي تعرض من خلالها ظاهرة الشركات العولمية وهيمنتها العالمية وأثرها على المجتمع العربي ، و رواية " شرف" و"ذات" بالاضافة إلى العديد من الترجمات لكتب عالمية مختلفة، منها كتب علمية تدور حول العديد من وجهات النظر التي تثير الجدل خاصة بتوجيه النقد للانظمة السياسية العربية لعدم ديمقراطية انظمتها وللفساد الذي يجري في أجهزتها ، هذا الوضع يخرجه عن امثال التقاليد الأدبية والكتابة بلغة جميلة أنيقة غير ضرورية ، لكن صنع الله إبراهيم يرد على هؤلاء بصراحة بأننا نتكلم فقط عن جمال الزهرة الأنيقة ذات الرائحة الخلابة ، بينما الفضلات تملىء الشوارع والمياه الآسنة تغطي الارض وكل مار يسب رائحتها ويشير إلى أن الكاتب يجب عليه أن يصبح مرتبطا بهموم الناس والشعوب ويرفض مقولة بعض الانتهازيين من الكتاب الذين يحاولون الترويج لمقولة" الأدب من أجل الأدب" فقط، وكأن الأدب لا يتعلق بالهموم التي يعيشها هؤلاء الناس.

والقارئ عند قراءة هذا السرد الروائي عند صنع الله إبراهيم يمس تلك العلاقة الموجودة بين الرواية والواقع الإقليمي والعربي، والتحولات البشرية والتقلبات الإنسانية، ليعلم أن هناكَ علاقة وثيقة بين الأدب بوصفه فناً، والأدب بوصفه مادةً للتعبير عن الحياة والعالم الخارجي، الذي يتحارب مع الدنيا الداخلية عند المبتكر.

والعديد من عملياته يكشف كيف التكرار و الانتباه الشديد الحساسية إلى التفصيل ليتحقق مضامين عصمة الطفولة والشباب و الإحباط الجنسي و في "التلصص" أن الروائي يتذكر أيام طفولته التي قضى مع أبيه في شقة صغيرة، وروايات صنع الله إبراهيم في معظم

الأوقات تستخدم صيغة المتكلم ، و هي مليئة بانتقاد سياسة الدولة عن طرق سخرية أو مباشرة. وقام صنع الله إبراهيم بكتابة العديد من الروايات التاريخية في أوقات التحول التاريخي العميق مثلا "وردة" كما أشرت من قبل تتناول قصة إمرأة تقاتل في عمان في 60 و 70، و"العمامة و القبعة" تتكلم عن غزو نابليون على مصر و يتحدث فيها عن تأثير هذا الغزو على مصر.

نال صنع الله إبراهيم بأعماله الأدبية شهرة واسعة بين أوساط الشبان المصريين ، غير أنه قلما يشارك ويحضر الحفلات و البرامج بجانب كونه شهيرا بأعماله الأدبية وتوسعت شهرته حينما رفض الجائزة الأدبية التي تعطيها وزارة الثقافة المصرية ، حضر صنع الله إبراهيم حفلة الجوائز لكنه بدلا من إلقاء المحاضرة قام بانتقاد النظام لسياسته الخارجية الضعيفة ، و الفساد المزمن، و تعذيبه المواطنين. كان صنع الله إبراهيم في ذلك الوقت يعرف بمتمرد، كان ينتمي إلى الحزب الشيوعي و كانت رواياتها و أعمالها الأدبية في 80م ،90م لا ينشرها المطبعة الحكومية بل المطابع المستقلة، لأنها كانت مليئة بالهجاء لسياسة نظام حسني مبارك.

يقول جهاد عقل:

> "صنع الله يرد على هؤلاء في مقدمة كتابه " تلك الرائحة" الذي صودر بعد صدوره سنة 1966م وفقط في العام 1986م نشر ولاول مرة بكامل نصوصه الأصلية، لان الرقابه المصرية كانت منعت نشره بالكامل ويتساءل قائلا :"الا يحتاج الامر إلى بعض القباحة للتعبير عن القباحة المرتبطة في ضرب إنسان أعزل حتى الموت , أو بوضع آلة نفخ الهواء في مؤخرته وبربط السلك الكهربائي بأعضائه التناسلية ؟". على ما يبدو أن صنع الله إبراهيم قد تعلم كثيرا من" مدرسة السجن "التي بقي داخل جدرانها خمس سنوات ونصف السنه عندما قام عبد الناصر باعتقال نشطاء اليسار سنة

1959م بعد اندلاع الأزمة الحادة مع الاتحاد السوفييتي يومها. لكن هذا الاعتقال لم يكسره وبقي أمينا لفكره الحر والمقاوم عن كرامة الإنسان وحريته"[11]

ولذا نجد أن الشيء الذي يميز أعمال صنع الله إبراهيم عن الآخرين هو التمثيل الاستعاري هي سمة تظهر في أعمال صنع الله إبراهيم فإنه صاحب تقنية الكولاج داخل أعماله و يمكن لنا أن نقول إنه مبتدع التمثيل الاستعاري بلا منازع في الرواية وتتميز الأعمال كلها لصنع الله بالسخرية و كلها تتسم باطراد تفاصيل الحياة اليومية بجميع أنواعها من الطعام و الشراب و النوم والاغتسال و قراءة الصحف بإطناب يدعو إلى الإزعاج في بعض الأحيان.

و أهم رواياته التي اتسمت بالإستيعاب الواسع للوثائق هي اللجنة 1981م التي تناولت موضوع الشركات العالمية العابرة للقارات لأول مرة في تاريخ الأدب العربي و تقيم عالما متماسكا محكما يوهم بالواقعية باستمداد عناصره من الواقع لكنه في نفس الوقت يقدم عالمه الروائي و عناصره و بنياته بكل أشكالها.

صنع الله إبراهيم هو الكاتب الصادق الجرئ الذي عرف في الأدب العربي أسلوبا حديثا وطريقة جديدة في السرد و الكتابة عبر بعض رواياته. و عرف مسؤوليته تجاه الشباب وكتب العديد من الروايات و القصص العلمية للشباب . و صدرت له ست روايات علمية عن دار الفن العربي في بيروت، وكذلك لم ينس صنع الله إبراهيم قضايا نسائية و المشاكل التي يعاني منها المجتمع النسائي ، و قدم في رواياته التحديات التي تواجه النساء في الحياة اليومية من عمل البيت إلى الوظائف الخارجية. صنع الله إبراهيم كاتب وصل إلى حد بليغ من الحساسية حتى عرض الأشياء الصغيرة في حياة المرأة و نقل في رواياته أفكارهن وأحلامهن في الحياة و قدم أمامنا دنياهن التي كانت تخفى من آلاف من العيون وتناول

[11] جهاد عقل، صنع الله إبراهيم المقاوم الحر ،الحوار المتمدن-العدد: 1038 ، 05/12/2014 ، http:// www.ahewar.org

التحديات اليومية في حياة المرأة و كيف تناضلها و كيف تبذل جهودها لكي تنال المقام في المجتمع و كيف تجمع بين المسؤوليتين داخل البيت وخارجها،كما نرى في "ذات" يحكي الكاتب سيرة بطلته و يتكلم عن طفولتها و صباها و زواجها و أسرتها و حياتها اليومية حتى عن أحلامها الليلية.

صنع الله إبراهيم نجح في تحقيق التوازن المعتدل بين التشكيل الفني والدلالة الاجتماعية والفكرية وهو يعد من الكتاب الذين مزقوا القالب الواقعي التقليدي و نهجوا منهجا جديدا و خلصوا لغة الرواية من الإمتلاء و اللفظية وأضف إلى ذلك حنينه إلى تجديد الشكل والتعبير عن المتغيرات المجتمعية من خلال ملاحقة التقلبات الثقافية و المادية .

و أعمال صنع الله إبراهيم تؤفر لنا بقراءة صراعات المجتمع المصري والمعارك الجارية بين الايدولوجيات المختلفة و الصراعات الثقافية التي أصبحت حقيقة أرضية في المجتمعات العالمية و أصحابهم يحاربون هذا الحرب عن خلال الكتابة و التلفزيون و الإعلام والإنترنيت و الإعلام الاجتماعي فأعمالها تسمح هذه الصراعات في سبيل دعم قيم التقدم والوعي النقدي كما أن أعماله بما تميزت به من حرص على التجديد و تنوع مستويات السرد والأصوات و تعدد اللغات المتحاورة تحول الرواية إلى آلة معرفة واجابة للأسئلة الراهنة.

هذا، ونجد في أعمال صنع الله إبراهيم الكثير من الفكر الذي يسعى من خلاله كشف حقيقة ما نتعرض له يوميا من مهاجمة ثقافية إمبرالية يسايرها الهجوم الاقتصادي أيضا مثلا إذا ألقينا النظرة على روايته "أمريكانلي" نجد فيها يشير بوضاحة كاملة إلى الصراع الحقيقي الموجود ، ويقدم أمامنا استعراض تجربة أستاذ جامعي مصري يدرس التاريخ المقارن في إحدى جامعات سان فرانسيسكو .

ويعرض من خلالها تاريخ البلدين، ويوجد فيه أيضا روح المقاومة التي يتميز بها صنع الله

إبراهيم، وهو تناول في رواياته المختلفة عددا كبيرامن الأحداث و الواقعات الصغيرة وكتب عن الشوارع المصرية وأزقتها ومحلاتها ومذاقها ومزاجها وطبيعتها وطقسها و بيئتها الأدبية و العلمية و تكلم عن الحوار بين الناس وأعلام الشباب و مقاصدهم و جهودهم اليومية حتى لم ينس أن يكتب عن الأحلام الليلية ، و هو بأعماله الأدبية يربط بفنها لأحزان الناس و الشعوب و يرفض المقولة "الأدب من أجل الأدب " بكل صراحة و هو واحد من أبرز كتاب جيل الستينات في مصر وانشغل في أعماله بالبحث في التاريخ و اقترب بالرواية من الهموم السياسية و الاجتماعية . و يبدو من أعماله أنه مولع بالتاريخ و يرى أن العودة إلى التاريخ ضرورة للإجابة عن سؤال الحاضر ، و غالبا ما يستخدم بعض الاشتمالات في أعماله ويعتمد في هذا على مصادر مختلفة مثلا في رواية القانون الفرنسي استعمل الفقرات من مؤلفات " ليلى عنان " و هي أستاذة متخصصة في الحضارة الفرنسية ، و لكنها أشار في الهوامش التي تتضمنها الرواية ، لكن الدكتورة عنان اتهمته بالاعتداء على حقوقها الفكرية و طالبت بتعويض مالي حوالي 1,8 مليون دولار .

أعماله تتميز بنوع من السخرية إلى جانب دقة الوصف بتعاقب تفاصيل الحياة اليومية بكافة أشكالها وهي مليئة بانتقاد الاستعمار العسكري والاستعمار الثقافي والاقتصادي الجديد وما إلى ذلك من النقد الاجتماعي أو السياسي مثلا "الصراع الطائفي" هو من أهم قضية يتناولها صنع الله إبراهيم في أعماله و هو يعد من أكبر النقاد لهذا الوضع الاجتماعي ، والقضية الأخرى التي عالجها صنع الله في أعماله الأدبية هي الحرب الثقافية الجارية بين أصحاب مختلف الايدولوجيات ، إذا كانت هذه الحرب محدودة عند الانتقاد الصحفي والمباحثات والحوار والمناظرات في البرامج التلفزيونية أو في صفحات الجرائد فلها تأثير إيجابي على المجتمع ، لكنها حينما اجتازت حد الحوار و دخلت في الاغتيال السياسي و القتل و فسك الدماء وانتشار الفوضى في المجتمع فلا مكان لمثل هذه

الثقافة ، و بهذا يتعلق الاعتداء الحكومي على المثقفين ، هذا من أهم الموضوعات التي قام بتناولها صنع الله إبراهيم لأنه هو نفسه جرب مثل هذا الاعتداء ، فمن الطبيعي أن ينال هذا الموضوع مكانا مهما في أعماله الأدبية ويحتل صنع الله إبراهيم شعورا حساسية بالغة و يمتلك قلبا يحب الوطن مثل مايحب الأب أولاده إذا وجد فيهم شيئا قبيحا أو عادة سيئة يقوم بسرعة بإصلاحه عن طرق مختلفة، هكذا مزاج صنع الله إبراهيم في أعماله الأدبية مثلا يقوم بانتقاد الفساد الإداري بلهجات مختلفة ، و يبذل المجهودات الجبارة في تبليغ رسالته إلى قرائه. و أعمال صنع الله إبراهيم هي وثائق تاريخية وكل عمل له أدبي يقدم أمامنا تجربة تاريخية ويحلل اسبابها وعللها، ونتائجها وحصيلاتها من الحرب اللبنانية في روايته " بيروت بيروت " إلى القانون الفرنسي، وصنع الله إبراهيم لا ينظر إلى الأدب كوسيلة المتعة ولايعتقد في الأدب من أجل الأدب ، و إنما الأدب عنده السياسة و الاجتماع و التاريخ والعلوم حتى يرتبط بكل ناحية من نواحي الحياة الإنسانية، فيمكن أن نقول بعد إلقاء النظرة على الموضوعات التي عالجتها أعمالها الأدبية أنه أحد أكبر الروائيين المصريين الذين ارتبطت أسمائهم بالثقافة و السياسة وتتميز أعماله بصلتها الوثيقة و التشابك مع سيرته من جهة ومع طريق مصر السياسية من جهة أخرى، وإذا نتكلم عن أشهر روايته فهي اللجنة التي صدرت عام 1981م وهي هجاء صريح لسياسة الانفتاح في عهد السادات و ثاني أشهر رواياته بيروت بيروت الصادرة عام 1984م واختيرت روايته شرف كثالث أفضل الرواية العربية، هكذا روايته وردة التي تعتبر من أهم رواية في اللغة العربية .

وتتميز أعمالها الأدبية بكثرة الانتاج وغزارته و تنوعه والجمع بين السير الذاتية و التوثيق التاريخي و النقد الاجتماعي و لاسيما النظام الرأسمالي و في التالي ألقي الضوء على جميع أعماله الأدبية بداية من أول روايته "تلك الرائحة ".

تلك الرائحة (1966)

وهي روايته الأولى التي تصف تجربة صنع الله إبراهيم في السجن و الفترة بعد خروجه مباشرة حددت اتجاه نشاطه الأدبي الكامل بعد ذلك وإن الرواية أثارت عددا كبيرا من الاستفهامات حول القضايا الجديدة، يروي فيها قصة سجين سياسي أثار شعورا بالإستغراب وهو يعود إلى الحياة المدنية بعد اثني عشر عاما قضاها في سجون النظام الناصري عقب ثورة 1952م، مع أن ناصر من دون أي شك كان شخصية سياسية الأكثر شعبية في الشرق الأوسط بسبب وقوفه امام "الإمبريالية الغربية " وهي التسمية التي كان يطلقها دائما على الغرب بعد الحرب التي وقعت في السويس عام 1956م على خلفية تأميم قناتها، وأصبح المتحدث الرسمي للقومية العربية آنذاك ومن أشد أعداء الصهيونية ، ومن المؤيدين والمتحمسين للثورات العربية التي نشأت في العراق وسوريا واليمن ، كما كانت لخطاباته الحماسية سحرها بالتأثير على الجماهير من الناس حتى أصبح ملهما للكثير من ساسة العرب ، وإبراهيم من خلال مجريات الرواية تنبأ بانحسار موجة ناصر الكاريزمية وتلاشيها ، قدم ذلك بطريقة مباشرة على لسان الراوي الذي بين أن شعبية النظام كانت على المحك ولولا اعتماده جزئيا على قمعه المعارضة له لما استطاع الاستمرار ، ومعظم الشخصيات فيها لم تعد مهتمة بالسياسة بقدر اهتمامها بأخبار نجوم السينما والبضائع الرائعة القادمة من بيروت وحتى أخبار الجنود الذين عادوا من جبهة اليمن تم تجاهلها وهم الذين أرسلهم ناصر لتعزيز ودعم قوات المشير عبد الله السلال في صراعه ضد الإمام البدر والتي أعقبتها حربا أهلية شرسة دموية انتصر فيها السلال بفضل دعم ناصر له بينما كانت مصر غارقة حينها بمياه الصرف الصحي بفضل بيروقراطية الدولة .

يقول أحمد فاضل:

”بعد عام من نشر رواية " تلك الرائحة " تحقق ما تنبأ به مؤلفها من هزيمة الجيش المصري وسيطرة اسرائيل على سيناء ، هذه الهزيمة كانت قد هزت الجماهير المصرية بعنف وهي التي اعتادت على الإنتصارات من خلال خطابات زعيمها ناصر وموضحة بصدق ما كان يتوقعه إبراهيم من سقوط ذلك النظام وانهياره .

المدهش في الأمر هو كيف يمكن أن نفسر ما توصل إليه إبراهيم في روايته لكل هذه الاستنتاجات مع أنها جاءت بإسلوب متقشف وبصفحات قليلة ، يقول عنها أنه بدأ باستحضار مدينة كبيرة كالقاهرة تجول فيها ، استقل خلالها الترام والحافلات وسيارات الأجرة ومترو الأنفاق ، زار فيها الأهل والأصدقاء الذين يمثلون أطيافا مختلفة ، طبقات متوسطة ، بيروقراطيين ، أصحاب رواتب عالية وبرجوازيين وحتى رجال دين ، ضباطا وجنود وصحفيين ، ورجال شرطة وسجناء ، كلهم شهود على ما جرى في مصر الناصرية تطلب منه وعلى لسان راوي الرواية وعبر خمسين صفحة أن تشكل رؤيا شاملة لعب الخيال فيها دورا كبيرا في جعلها تأريخا حقيقيا لحقبة زمنية سادتها انهيارات كبيرة .

هذه الرؤية ليست ثمرة إلهام فقط ، بل هي نتيجة للبحث الدقيق ووثائق حقيقية كان قد وقف عليها ما يلفت انتباهنا إلى الجهد المبذول منه في البحث في الأرشيف الخاص بهذه الأحداث ، "تلك الرائحة " رواية تظهر لنا أن إبراهيم كانت لديه خطة عمل كاملة سار عليها منذ إقامته في السجن الصحراوي حيث كان قد قضى فيه خمس سنوات من عام 1959م حتى 1964م عاشها جنبا إلى جنب مع العديد من الشيوعيين المصريين الذين اتهمتهم السلطة الناصرية آنذاك بتعاونهم مع الشيوعيين في العراق نهاية عام 1958م .

في السجن الصحراوي الجنوبي الذي كان يقع على مقربة من الحدود مع السودان دأب إبراهيم على قراءة فرجينيا وولف والفيلسوف والكاتب المجري الماركسي جورجي لوكاش وكان يدون ملاحظات واسعة حول قراءاته تلك ، وكذلك على بعض جوانب الحياة اليومية في السجن حيث قال انه نقل هذه الملاحظات على أوراق السجائر التي

تم تهريبها فيما بعد خارج أسواره وهي توضح طموحاته لكتابة رواية أظهر فيها مدى المأزق الناصري الكبير في تدخله بكل مناحي الحياة المصرية والذي أنهى الدور النضالي لمجموعة كبيرة من الثوار الذين عملوا على قيام الثورة وما تبقى حقائق واضحة لعبادة الشخصية التي ستنهار لاحقا كما كان يتوقع."[12]

وتكلم فيها صنع الله عن الأشكال الجديدة من القمع الفكري والجسدي الذي عانى منه إنسان هذا العصر، وعمد المؤلف فيها إلى كتابة اشكالية لا تقل مراوغة على فعلته السلطة معه أثناء السجن أو بعد الخروج من جهة ، و يعتبر الكثير من الأدباء و النقاد أن تلك الرائحة سيرة ذاتية للكاتب، و من جهة أخرى يعد العديد من النقاد أنها عمدت إلى الوثائقية من خلال النصوص المبثوثة في السرد.

يقول ممدوح فراج النابي:

"المتتبع لسيرة الكتابة فى تلك الرائحة يرى أن أوليات التجريب والتشكيل بدأهما فيها ، وما ألمحه وما صرح به مباشرةً من القمع والقهر ليس بأقل فجاجة وكابوسية من شرف ، ومن ثَّم تجدر الإشارة للحديث عن أشكال التجريب التى مارسها المؤلف، ومالدافع من وراء ابتكار طرائق سرد غير مألوفة على الكتابة؟

الحق أن رواية بمثل حجم تلك الرائحة الصغير ، أثارت العديد من الاستفهامات حول القضايا العديدة التى طرحتها، بل وطرحتها بجرأة وحدة عنيفتين، جعلت من الرواية منافيستو تحريض ضد أشكال عديدة من القمع الفكرى والجسدى ، الذى عانى منه إنسان هذا العصر ، لذا زخمت الرواية برسائل مشفرة تحتاج إلى وسيط لحل شفراتها سواء فى لغتها العارية / المختزلة / المكثفة ، أو سخريتها اللاذعة للأوضاع

[12] أحمد فاضل ، الروائي صنع الله إبراهيم..المتنبئ في تلك الرائحة ، جريدة "المدي" ، العدد(2875 ، 2013/08/25

المتردية التى تفشت فى منظومة القيم، التى أبدلت نسقاً بآخر، مغايرًا عنه فى الشكل والمضمون الذى يحمل فى مضامينه المسكوت عنه. كما أن النص بصغر حجمه."[13]

إنسان السد العالي (1967)

هذا الكتاب قام بإنجازه صنع الله إبراهيم بالاشتراك مع كمال القلش و رؤوف مسعد في القاهرة ، و هذا الكتاب يعتبر كشفا تاريخيا للمجتمع المصري في مرحلة بناء السد، ويمثل هذا الكتاب تجربة فريدة و مثيرة في حياته ، حيث عرى الكاتب بجرأته الم النماذج البشرية التي قدمها في مرحلة الستينات من تاريخ مصر والعرب .

يقول ممدوح فراج النابي:

"يمثِّل كتاب "إنسان السّد العالي" تجربة فريدة ومثيرة في حياته، وقد لدت فكرته في المعتقل، بين ثلاثة من الشّباب ليست لديهم أيّ تجربة (صنع الله إبراهيم وكمال القلش ورؤوف مسعد) وما إن خرجوا من المعتقل تباعًا عام 1964، حتى بدأوا في التخطيط للرحلة دون أن يكون معهم مصدر للتمويل، وبالفعل ذهب الثلاثة في مغامرة إلى أسوان في قطار من الدرجة الثانية بعد الاستدانة من الأصدقاء، وهناك كتبوا هذا الكتاب بعد أنْ قسّموا العمل فيما بينهم، كما أثمرتْ هذه الرّحلة عن مسرحية "النفق" لرؤوف مسعد ورواية "نجمة أغسطس" لصنع الله إبراهيم."[14]

والرواية تعتبر من خيبة الأمل الذي أسفر عنها اللقاء بين السجين المفرج و بين هذا الواقع الجديد، و يلقي الضوء على الواقع الاجتماعي السوداني ، و يقدم رؤية جديدة بهذا الصدد يقول : رائحة عطرة إذ هو يتميز بالاستقامة و كل طبقة و فئة اجتماعية تلزم حدودها، ويتكلم

[13] ممدوح فراج النابي ، "تجليات النص الظل" وقراءة المسكوت عنه/الجنس والوصف في" تلك الرائحة " ، مجلة "الروائي" ، 05/04/2011

[14] ممدوح فراج النابي ، صنع الله إبراهيم الروائي المشاكس وصانع الأزمات ، صحيفة "العرب" ، 19\04\2015

عن الأجهزة الأمنية التي تدخلت في حياة جماهير العرب ، في هذا الرواية يتكلم صنع الله إبراهيم على العلاقة بين الأدب و السياسة ، و بين الأدب و المجتمع ، و يتكلم عن الحرية مداها في الأدب و ما يجب أن يكون دورا تجاه الأدب و الأدباء ، يمكن أن نعتبر هذا الكتاب دراسة تحليلية ألقى فيه المؤلف على القضايا الأدبية لاسيما قضية الحرية و أهميتها في المجتمع. فالحرية عند الكاتب حاجتها إليها ماسة بدون الحرية في التعبير لا يمكن لنا أن نعثر على الأعمال الأدبية التي تساعد العقل الإنساني و الوعي البشري في مسيرة الرقى و الازدهار

نجمة أغسطس (1974)

هذه الرواية أيضا تعتبر عملا روائيا لصنع الله إبراهيم وهي عبارة عن الأحداث و الواقعات التي سجلها الكاتب عن رحلته إلى أسوان مثل ما نرى في أحضان السد العالي، تلك الملحمة التي شاهدها المجتمع المصري في رئاسة ناصر ، انها عبارة عن يوميات سجلها الكاتب عن رحلته إلى أسوان بشكل يشبه اليوميات في أحضان السد العالي، تلك الملحمة الوطنية التي عاشتها مصر في الحقبة الناصرية.

كان صنع الله إبراهيم أحد ضحايا هذا النظام التعسفي القمعي بسبب توجهاته اليسارية، حتى أنه أهدي الرواية لزميله شهدي عطية الذي مات تحت التعذيب في المعتقلات الناصرية، وجسد الكاتب آلام أهل النوبة ومعاناتهم وما سببه لهم السد من مشكلات وترحيل عن قرارهم، وكيف فقدت الأرض خصوبتها. و هذه الرواية يتكلم عن المعانات و المشكلات التي واجهت الجماهير المصرية تحت النظام ، و تتحدث عن التناقض بين صورة بناء السد المرسومة في وسائل الإعلام و التلفزيون و بين الواقع القمعي الاعتدائي اللإنساني في محل البناء. والرواية هي رحلة- في المكان- إلى مدينة أسوان في فترة بناء

السد العالي، وتجسيداً للحياة في تلك المنطقة بكل ما تحمل من شخوص وملامح، ولكنها أيضاً رحلة في الزمان عبر ذاكرة البطل تطل على مشارف تاريخ مصر القديم.

و قام صنع الله إبراهيم بأبرز أوجه التطابق بين جمال عبد الناصر وبين الملك المعروف بالرمسيس في عهد الفراعنة الذي بنى معبد عظيما فقد قام كل منها ببناء نصب تذكاري لنفسه عبر أعمال بناء ضخمة.والرواية ممكن أن تعتبر رحلة لأنه يرتحل إلى مدينة أسوان فترة بناء السد العالي كما تشير اليها المؤلفة شيماء عيسي وهي تقول:

"إنها لقطة حقيقية من حياة الأديب المصري البارز صنع الله إبراهيم سجلها بمفتتح روايته الشهيرة "نجمة الأغسطس" وقد صدرت للمرة الأولى 1974 وأعيد نشرها العام الماضي عن قصور الثقافة. وكان صنع الله قد تعرض لمحنة الاعتقال في عهد ناصر بسبب توجهه المعارض، وحين خرج من السجن 1965م شد الرحال مع صديقيه كمال القلش ورؤوف مسعد ومراسل الأزفستيا في مصر كونستتين فيشنفسكي إلى منطقة السد .. وبالفعل حين عادوا كتبوا موضوعات عن إنسان السد ولكن الروائي بعدها بسنوات تنقل بين بلدان عدة ومنها روسيا وبدأت تظهر له أشباح الماضي والطفولة والمقارنات بين القهر والإرادة فكانت تلك الرواية "[15]

ويقدم صنع الله إبراهيم من خلال هذه الرواية نموذجا من نماذج النقد الاجتماعي حيث يقدم الكاتب بانتقاد النظام عن طريق السخرية مثلا الناس يموتون بسبب الأمراض المختلفة، وكثير من الناس اضطروا إلى ترك قرارهم و بيوتهم جبريا و قسرا و تعرضت الأراضي لنقص الخصوبة التي كان يؤفرها للمحاصيل، ويعانون من الآلام والصعوبات الشديدة من جهة، و الحكومة منشغلة كل الانشغال في بناء السد العالي من جهة أخرى، وهذه الرواية أيضا تلقي الضوء على الروسيين و غاية انتظامهم و دقتهم في كل شيء .

[15] شيماء عيسي ، في "نجمة أغسطس" لصنع الله إبراهيم .. إرادة المقهورين أمام فرعون مصر ، "محيط" شبكة الاعلام العربية ، السبت، 21 سبتمبر 2013

يقول عيسي اسماعيل:

"واقعية السرد و الأحداث تجعل من رواية صنع الله إبراهيم " نجمة أغسطس رواية الحياة المصرية بعد عام 1952بما فيها من انجازات و إرهاصات من قادة عظام يريدون لمصر العربية الخير " عبد الناصر " و من أرادوا الانجازات لمصلحتهم الفردية و العائلية " السادات " .. و هنا تكمن أهمية الرواية"[16]

اللجنة (1981)

هي أشهر روايات صنع الله إبراهيم وتبنى قصة هذه الرواية على اللجنة التي توجه بعض الأسئلة على "رجل " و هذا الرجل بطل هذه الرواية ، فالنص يبنى على السارد، و يعلن السارد منذ بدء الرواية عن إرادته في تحدى اللجنة و مواجهتها ، وهذه التحديات تمتلأ بالسخرية اللاذعة التي تتوخى التعبير بآليات مختلفة بما فيها الجملة المضادة والتهجين والأسئلة والتنويع كما عرفها المؤلف جميل حمداوي قائلا:

"إن الرواية التي نحن بصدد مقاربتها تحمل عنوانا مفردا (اللجنة) ، وهو مبتدأ معرف يحتاج إلى خبر، وهذا الخبر يمكن التوصل إليه من خلال استنطاق الحبكة الروائية. ويحيل العنوان على الطابع المؤسساتي والرسمي لهذه اللجنة على الرغم من ادعائها الاستقلالية عن السلطة. فاللجنة- هنا- بمثابة جهاز مخابرات سرية تقوم باستنطاق المواطنين الغيورين على بلدهم، وتطرح عليهم مجموعة من الأسئلة والأبحاث لمعرفة هويتهم وحقائقهم الذهنية والوجدانية. وبالتالي، فاللجنة نظام للمحاسبة والمكاشفة السياسية ورمز للتعذيب الإنساني واستمرار للسجن ومصادرة حقوق الإنسان[17]

تشير الرواية إلى فضاحة الهيمنة الخارجية على مصر والعالم العربي الذي لايزال يستمر

16 عيسي اسماعيل ، الرومانسية وواقعية الحياة في " نجمة أغسطس" ، "العروبة " ، العدد: 14413

17 جميل حمداوي، السخرية في رواية اللجنة لصنع الله إبراهيم ، الحوار المتمدن ، العدد 1714 ، 25/10/2006

في المعاناة من أعتاب الهيمنة الأمريكية ، و هذه الهيمنة توجد في جميع ناحيات الحياة من الثقافة و السياسة إلى الايجدولوجية والفكر والرواية لا تكتفي بفضاحة هذه الهيمنة فحسب وإنما تخلخل و تسحب من مساحتها الملحمية التي تجعل منها مقدسا لا يقبل الشك والسؤال و يمكن القول أن اللجنة عمل كاريكاتوري في غلاف النص . وتعرض الرواية العديد من أساليب الوقاحة والبشاعة ، و طرقا مختلفة من السلوك اللاإنساني ، و كانت هذه اللجنة ذات صبغة عسكرية على الرغم من عسكرها المدني . عرفنا صنع الله إبراهيم بالذعر والخوف والهلع التي يحس الإنسان حينما يكون في القيد أو الاعتقال .

خلاصة القول إن اللجنة رواية قصيرة و هي نتيجة الاختزال الواضح في الادوار التي تتشكل مرحلة تحويلية في تاريخ مصر الحديث ، و مرحلة غزيرة و مليئة بالأحداث والتطورات ، و هي تبدأ من السلام الخادع مع العدو الذي لايزال يعربد على الأراضي العربية ، و تمر بالانفتاح الاقتصادي الذي يفتح على مصر أبواب المخدرات والأغذية الفاسدة والمنتجات الأجنبية والفساد الحكومي .

يقول جميل حمداوي:

"إن اللجنة هي رواية جدلية المثقف والسلطة، ورواية واقعية انتقادية تنبني على السخرية الكاريكاتورية والباروديا والمفارقة المذهلة. يتداخل فيها السياسي مع المعرفي، والتاريخي مع الاقتصادي، واللغوي مع الأدبي. كما تصورصراع المثقف مع أنظمة القمع وإعدام المعرفة إقبالا ومنعا. إنها تبين لنا صراع الحقيقة مع الزيف وتملق السلطة وموالاة اللجنة لها. كما تؤشر الرواية على مصادرة حقوق الإنسان واحتقار المثقف العربي من قبل مؤسسات الرصد والتجسس والمخابرات السرية التي تناصر الظلم وتحارب العلم والخوض في المعرفة الحقيقية.

وعلى مستوى البناء،فالرواية جديدة من حيث المعمارية الدائرية الحلزونية إلى جانب الاقتصاد اللغوي والتكثيف الوصفي واستفادتها من قصاصات الجرائد والإعلانات

والمقالات، وامتصاصها لخطابات تناصية ثرية لإدانة واقع مفارق بلغة تقريرية موضوعية أميل إلى لغة الصحافة الجافة الخالية من نصاعة البيان وروعة الاستعارة على غرار الرواية الفرنسية الجديدة. وهذه الرواية مكتوبة بصورة عفوية للغاية، وإن كانت محكمة من خلال قانونها الخاص: إنها ليست قطعة من الواقع تعيد أصابع الفنان تشكيلها لتصبح واقعا جديدا. فهي منذ البداية واقع مواز تماما على نسق التقليد الأدبي العام."[18]

اللجنة تتكلم عن اضمحلال الوعي الفكري والثقافي والضعف في الحساسية الاجتماعية والشعور السياسي ، و عدم وجود الأهداف المستقبلية و غياب القيمة السياسية بين جماهير العرب على العموم ، و جماهيرمصرعلى الخصوص .فاللجنة لا يحدث عن الأشخاص والشخصيات كثيرا و لا يتكلم معك عنها شيئا ، لكنها تربط القارئ و يأخذه إلى عالم عجيب.

ويقوم صنع الله إبراهيم في " اللجنة " بإعطائها " اللمس الكافكوي " و كثير من النقاد يقارنون اللجنة بالكتاب المشهور لكافكا The Trial ، حتى نجد أنه لا يمكن للقارئ بعد قراءة كاملة للرواية " اللجنة " أن يعرف ما هي اللجنة أو من هو اللجنة على وجه التحديد، و توجد الرميزة العالية في محتوى هذه القصة لكنه رغم ذلك تشير القصة أن اللجنة تمثل بدون أي شك سلطة عالية ذات قوة بالغة سواء هذه السلطة على مستوى الدولة أوهي القوة العالمية التي وراء هذه اللجنة ، بعض الأحيان هي تبدو هيئة مخابرات محلية ، و كثير من النقاد يتفقون على هذا ، و لكن البعض يذهبون إلى أنها تشبه الوزارات الحكومية ، و يرى نقاد أنها منظمة عالمية تحكم عن بعد، و رغم المنظورات المختلفة التي توجد في اللجنة ، هي تمثل الرمزية القوية في تاريخ روايات اللغة العربية ، وتعرف في الأدب العربي نموذجا جديدا بأسلوب المونولوج الداخلي ويشير إلى كافكويته. يقول الدكتور نجم عبد الله كاظم:

[18] المصدر السابق نفسه

"يجسد صنع الله إبراهيم حالة الخوف الإنساني ومعاناته في هذا العصر أو في ظل أنظمة سياسية وبيروقراطية ليس للإنسان اعتبار فيها. فكل شيء مذلَّل ومكيَّف ومسيَّر وخاضع للنظام وأساليبه ومتطلباته، حتى وإن لم تكن واضحة هذه المتطلبات:

"انقضت عدة شهور على المقابلة التي جرت لي مع اللجنة، تناوبتني خلالها مشاعر اليأس والرجاء. فكنتُ أستيقظ في الصباح بثقة مطلقة في أنّ قرارها سيكون لصالحي. ولا تمضي ساعات إلا ويكون الشك قد راودني فأسترجع وقائع المقابلة لحظة بلحظة، وعندئذ يستولي عليّ هبوط بالغ، أو أقع فريسة ليأس مطبق"- الرواية، ص29. وتعلقاً بكافكا، لعل أكثر ما يتجسد فيه تأثيره في صنع الله إبراهيم وروايته، هو النظام البيروقراطي الذي تقدمه الرواية في لا معقوليته ولا إنسانيته، كما رأينا، ونحن نعرف كيف أثّر النظام البروقراطي في كافكا وحياته ومواقفه وأفكاره وكتاباته. ولكن بقدر ما يبتعد كافكا عن السياسة باتجاه هذا النظام البيروقراطي، في لا إنسانيته، يقترب صنع الله إبراهيم منها بطرح كل شيء، من بيروقراطيه ونحوها، بوصفه، صراحةً أو ضمناً أو مسكوتاً عنه، وليد هذه السياسة[19]

يتناول هذا الكتاب مرحلة سابقة في تاريخ مصر كانت موضوع هجاء العديد من المفكرين و المحللين السياسيين،وهي الفترة الساداتية التي تمتاز بانفتاحها على الولايات المتحدة وتخليها عن حليف استراتيجي سابق هو الاتحاد السوفياتي الذي ساعد مصر في الوقت الذي تركتها القوي العالمية وحيدة فريدة وما نتج عن ذلك من سلبيات، لكنه يظل محتفظا بقيمته -كما بينا سابقا-، على مستوى الواقع، والمتخيل نظرا لعمق تصوره و رجاحة مواقفه. فأطروحته تستمد قوتها من استمرار فعاليتها انطلاقا مما وقع حاليا في العراق خاصة،حيث يتأكد تصور الروائي ونظرته الناقدة التي لا تخص مصر فحسب،وإنما السياسة العربية عامة إزاء الولايات المتحدة. وهي نظرة محذرة تنبئ بعمق مخاطر الانفتاح وسلبياته.إنه الأمر الذي أصبح مفضوحا الآن، وبطريقة جعلت الجرح في الجسد العربي

[19] د. نجم عبد الله كاظم ، "اللجنة" لصنع الله إبراهيم كافكا والكافكوية عربياً ، مجلة "الروائي" ، 19/12/2010

تشويها يؤرخ لأكبر هزيمة تمت في تاريخ العالم العربي بمباركة داخلية،وفي طقوس تختال بأضواء أمريكية تحرق ما تبقى من ذلك الجسد العاري، فمرت على هذه الرواية أكثر من ثلاثين عاما لكن الجدة و الديناميكية لا تزال تبقى في هذه الرواية ، وديناميكية أسلوب السرد و سلاسة تتابع الأحداث ، و التفاصيل المتعددة و الرمزية والجدل لا تزال تبقى أخاذة و عصرية .

يوم عادت الملكة القديمة (1982)

و هذه الرواية تتكلم عن عالم النحل وملكه ومملكته ، كتب صنع الله إبراهيم هذه الرواية للتعليم و تربية الأولاد ، و هدف هذه الرواية هو نفح الحنين في الطلاب تجاه العلوم الطبيعية ، و تجعلهم يحبون العلوم والتكنولوجيا و ينظرون إلى العالم الطبيعي نظرة علمية . يقدم صنع الله إبراهيم في هذه الرواية كل شيء بالعلم والتحقيق و يثبت ما يقول بالحقائق العلمية والدراسات الطبيعية .

وينشأ في الطلاب نوعا من الشوق حينما يقرأ حول موسم الهجرة و مغادرة الملكة خليتها واختيار النحل ملكة جديدة ، و كيف يبدو في ذلك الوقت حينما ستقر النحل في المملكة التعفية و ذات يوم تعود الملكة القديمة إلى الخلية مطالبة بعرشها . يقدم صنع الله إبراهيم في هذه الرواية الأسرار المخفية العجيبة في عالم النحل ، و يلقي الضوء على التفاصيل المشوقة تبدو كشريط سينمائي حافل . ممكن أن نقول إنها دراسة علمية رائعة و رحلة علمية مفيدة .

وقد نالت هذه الرواية جائزة أحسن رواية لعام 1982م من المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم .

بيروت بيروت (1996)

تعد هذه الرواية بيروت بيروت من أروع و أبرز الأعمال الأدبية لصنع الله إبراهيم ، و هو يبدو في هذه الرواية مؤرخا عظيما يحلل أسباب الحرب الأهلية في لبنان . هي من أروع ما كتب صنع الله إبراهيم حيث يقوم بالتاريخ للحرب الأهلية في لبنان ، و تدور أحداثها في قلب العاصمة اللبنانية بيروت ، حيث نجد فيها البطل تائها بين الأطراف المتنازعة ويحاول أن يعرف لما ذا يقاتل الناس بعضهم بعضا .

يقول عبد اللطيف الهدار:

> "ونحن هنا أمام رواية تشكل استمرارية لتجربة الكاتب ، تجربة تحف بها المخاطر الفنية ، تجربة تدور حرب أهلية حقيقية عمرت سنوات طوال .. حرب أودت بعشرات الآلاف من الأبرياء ، ودمرت مدنا بكاملها . حرب تتحكم فيها أطراف عربية ودولية ، وتفرخ تناقضات شتى ؛ تناقضات بين طوائف وأحزاب . بين غيورين ووصوليين . بين فقراء وأغنياء . بين انعزاليين ووطنيين . بين ميلشيات ومقاومين . بين إسرائليين وعرب . بين فلسطينيين وغير فلسطينيين ... وإن عملا روائيا يريد أن يتخذ من هذه الحرب موضوعا له ، لا بد أن يواجه مخاطر حقيقية لا من حيث التناول الفني لتجربة في مثل هذا التعقد ، ولا من حيث تبني موقف معين من القوى المتحاربة."[20]

والرواية تحكي عن البطل الذي يصل بيروت من القاهرة في الأيام التي كانت الحرب الأهلية مستمرة من أجل البحث عن ناشر لروايته التي تملأ بنقد الأنظمة السياسة العربية جميعا، و يقيم في بيت صديق له في بيروت ، و في خلال هذه الإقامة يتلقى مخرجة لبنانية و هي تطلب منه أن يكتب لها سيناريو فيلمها الوثائقي فيقبل البطل هذا الاقتراح و يبدأ العمل على هذا المشروع .

---

[20] عبد اللطيف الهدار ، تداخل الأنساق النصية في رواية " بيروت بيروت " لـ صنع الله إبراهيم (1)" مطر" بيت المبدع العربي ، 25/1/11

تقدم هذه الرواية صنع الله إبراهيم لمؤرخ و باحث عظيم حيث أنه يعرف لبنان معرفة جيدة و يصور شوارعها و أحياءها و فنادقها تصويرا صحيحا ، و يعرض انتقالات البطل و تحركاته بين أحياء بيروت عرضا تفصيليا كأنه هو نفسه ذهب إلى بيروت وتجول في أحيائها كما يشير اليه عبد اللطيف الهدار:

"تأتي " بيروت بيروت " لتضيف إلى تجربة صنع الله إبراهيم ، والي الرواية العربية الحداثية ، دفقة قوية على مستوى الجدة وتجريب نمط روائي جديد. وإذا كان من أهم سمات الرواية الحديثة معارضة المعيار الجمالي التقليدي ، " عن طريق وضع البنية السردية موضع التساؤل ، أو عن طريق إدخال موضوعات لا تقبلها الأخلاق الرسمية مثل الزنا، فإن " بيروت بيروت " بشكلها الذي اعتمد حوار النصوص وتداخل المرجعيات ، استطاعت وبامتياز أن تحقق هذه الخاصية ، وجعلت القراءة تتجه إلى آليات السرد، بدلا من التطابق مع البطل، أو الاهتمام به."[21]

يتكلم صنع الله إبراهيم في هذه الرواية عن السياسة والجنس والدين بجرأة بالغة ، أما السياسة فهي تتمثل في الحرب الأهلية اللبنانية والصراع الطائفي بين أهل ديانات مختلفة في لبنان ، و المعاداة لاتفاقية السلام مع إسرائيل ، و انتقاد الأنظمة العربية جميعا ، أما الجنس فهو يتمثل في علاقات البطل الجنسية إذ تتعد علاقاته النسائية خلال أحداث الرواية ، هكذا يلقي الضوء على الدين و علاقته بالسياسة خاصة في سياق الحرب الأهلية ، لأن الدين هو السبب الرئيسي الذي من أجله تجري الحرب ، و هو السبب الكليدي الذي تم به اختطاف البطل .

يقول الدكتور علي الراعي:

"هذه رواية شديدة التنسيق كتبها بطريقة شديدة المهارة وذلك يبدو واضحا من خلال الأحداث التى تناول فيها المؤلف أحداث الحرب الأهلية التى دارت في بيروت في فترة

[21] المصدر السابق نفسه

طويلة من الزمن وبالرغم من أنه لم يخض فى خضم هذه الأحداث بنفسه إلا أنه قد برع فى كتابته ..علامة العمل الجيد عندي انك تشعر بخسارة فادحة حين تتخيل أنه لم يكتب قط ، أو أنه اختفى من بعد. وهذا هو حالي مع (بيروت بيروت)."[22]

فبيروت فبيروت -إذا نعبر في تعبير آخر- فهي ملحمة من الملحمات ، و هي محدودة الأبطال لكنها مليئة بالأحداث ، و غنية بالواقعات وأكثر من ذلك- بجانب كونها رواية هي عمل سياسي وثائقي تاريخي عظيم لأن تسلسل الأحداث عرض بطريقة رائعة جدا على الرغم من أن الأحداث والواقعات كانت متعقدة للغاية .

العمامة والقبعة

هي من أروع أعمال صنع الله إبراهيم الأدبية تعطي صنع الله في هذه الرواية ثلاثة اعوام من 1798م حتى 1801م ، و يتكلم عن غزوة نابليون على مصر ، و ما جرى خلالها من أحداث ووقائع ، وعنوان الرواية يدل دلالة واضحة على الموضوع الذي يتناول صنع الله في هذه الرواية وهي المقابلة بين العمامة هي لباس الرأس المعروف في المجتمعات الإسلامية والقبعة التي تمثل لباس الرأس التقليدي عند العرب ، وتتناول الرواية أول صدام بين الشرق والغرب ، و تتحدث عن مرحلة تاريخية عظيمة شكلت بداية استهداف الغرب القوي الناهض للعالم الضعيف المتخلف ويتحدث عنها الدكتور أشرف فقيه:

"قد لا تكون العمامة والقبعة أعظم روايات صنع الله إبراهيم، الذي يُعد أحد أشهر الروائيين العرب وأكثرهم إثارة للجدل؛ لكنها تظل عملاً جديراً بالقراءة والتأمل لمؤلف طالما أجاد اتخاذ وجهات مغايرة وجديدة.فهذا القاص الذي ترك آثاره على المشهدين الثقافي والسياسي عبر أعمال من قبيل شَرَف و اللَّجنة ، والذي برع في استنبات القيمة التاريخية من السيرة الذاتية في التلصُّص و أمريكانلي/أمريْ كانَ لِي .. وكان

[22] المنتدى : الأدباء والكتاب العرب ، صنع الله إبراهيم , بيروت بيروت , دار المستقبل العربي , 1988 ، منتديات ليلاس " ، 19-09-08

قبل هذا وذاك سبّاقاً في الترويج للقيمة العلمية ولأدب المغامرات في كتاباته القديمة الموجَّهة للناشئة كما القرّاء المحترفين، يعود في روايته العمامة والقبعة الصادرة طبعتها الأولى في 2008م عن دار المستقبل العربي ليمزج كل صنوف القصّ الواردة أعلاه وأكثر."[23]

هذه الرواية تشير إلى حقبة مهمة من احتلال نابليون بونابرت لمصر سنة 1798م كما ورد عند الجبرتي وهو أحد أشهر المؤرخين المصريين بدون أي نزاع ، واصل فيها المؤلف منهجه في المزج بين الوثائقي والسردي والتاريخي والتخيلي، يقدم إبراهيم في هذه الرواية قصة حب بين أحد طلاب الجبرتي وفرنسية تدعى بولين لسلي فوريه إبنة أحد قادة نابليون الذي وقف ضد هذا الحب بسبب عشقه لها أيضا ، إبراهيم يري أن تلك الغزوة وما رافقها من ثورة شعبية عارمة عليها قد بشرت أحداث عظيمة في المستقبل، والثورات الشعبية التي تختلف في ترتيباتها وحجمها.

هذه الرواية تلقي الضوء على الاستعمار الفرنسي و تدخله في الشؤون الداخلية المصرية ، و تتكلم عن المكافحة المصرية ضد هذا الاعتداء الخارجي في قيادة نابليون ، الرواية تضعنا أمام عملية اجتماعية و شخصيات و تيارات فكرية تحكينا بشكل أو آخر إلى الزمن الحالي ، و تخبرنا عن حالة النخبة المثقفة ، و كيف يتعاون جماعة منهم مع الجيش الفرنسي كما هو من المعلوم أن بعض العلماء و الشيوخ قبلوا بالعمل في ديوان بونابرت وكيف بعض المثقفين يعتبرونها النجاة من اعتداء الحكم العثماني.

يقول أحمد الخميسي في مقالته "رواية العمامة و القبعة لصنع الله إبراهيم":

"و حين ترينا الرواية حالة النخبة المثقفة و كيف تتعاون أقسام منها مع الغزاة كما فعل بعض العلماء والشيوخ الذين قبلوا بالعمل في ديوان بونابرت أو عندما يقبل

[23] أشرف فقيه ، العمامة والقبعة جديد الروائي صُنع الله إبراهيم ، مجلة"القافلة "، العدد 36 يناير- فبراير 2009

الراوي بالخدمة مترجما في الجيش الفرنسي خلال رجعه إلى العريش و منها إلى الشام و كيف يصل الهوان ببعض المثقفين كالمعلم يعقوب إلى الوقوع في تناقض استبدال الاحتلال الفرنسي برغبة وطنية لتخفيف معاناة أبناء وطني " هل يرضيك أن تظل مصر في يد الاجلاف من أتراك و مماليك؟ " هكذا يستبدل المعلم يعقوب وحشية الاستعمار الفرنسي بوحشية المماليك مدعيا أن تلك رغبة وطنية لكي تستقل مصر."[24]

يقوم صنع الله إبراهيم بالانتقاد الشديد للفكرة التي تقول بالتدخل الأجنبي والاستعانة الخارجية للاستقلال السياسي و تحسين الأوضاع الاجتماعية وإصلاح الاقتصاد الوطني، أو للتخلص من حكم محلي مستبد.

يقول الدكتور صلاح فضل:

"رواية العمامة والقبعة رائعة جديدة من ابداع الفنان المترهب صنع الله إبراهيم, ستحتفظ بها ذاكرة الأدب الحي, ويتسع فيها مفهوم الرواية التاريخية, ليصبح تسجيلا موثقا يمسك بنبض العصور الماضية, فيعيد تشكيل بنية الحياة الفردية والمجتمعية في ضوء ما اسفرت عنه التطورات اللاحقة, انه يصنع بذلك تاريخا ابداعيا موازيا, يعيد معاينة المشاهد وتخييل تفاصيلها, ليمنحها دلالة حضارية شاملة, تسعف في تفسير الحاضر بقدر ما تضيء الماضي بنورها الجمالي المبهر.

ابتلع صنع الله إبراهيم في هذه الرواية, بجهد بحثي خارق كتابات الجبرتي, وأدبيات الحملة الفرنسية علي مصر المؤلفة والمترجمة, وكتاب وصف مصر, وكثيرا من المحاولات الروائية والدرامية السابقة, ليصنع علي عينيه راويا بضمير المتكلم، يعقد به لواء فن الرواية التوثيقية التي كان له فضل ابتكار اسلوبها, موظفا منهج سرد اليوميات لصناعة عجينة طازجة ومختمرة، لحمتها وقائع التاريخ."[25]

---

[24] أحمد الخميسي ، رواية العمامة والقبعة لصنع الله إبراهيم .. زمن الغزو ، موقع" الحوار المتمدن"، 05/06/2008

[25] صلاح فضل ، صنع الله إبراهيم في العمامة والقبعة1 ـ2 ، العدد 132 ،" الأهرام " 31/03/2008

ولكنه على صعيد آخر يقدم صورة معاكسة فنجد الشيخ المعروفي الذي يتحدى الأجانب تحديا بالغا وينادي " لا صلح " ، و يوجد هناك علماء و شيوخ يحثون المصريين على الكفاح ضدالاعتداء الفرنسي ، وفي هذا الضمن يصور صنع الله ثورة القاهرة الأولى في 21 أكتوبر، والثورة الثانية في 20 مارس 1800م . و كيف تحولت هذه المعركة إلى الصراع الديني و أخذ شكل الصراع المذهبي حينما نادى نصوح باشا اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم .

فيجد القارئ الكثير حول الغزو الفرنسي في هذه الرواية من صراع القوي العظمى والمواقف المختلفة للنخبة المثقفة المصرية ، و التيارات الفكرية التي كانت تسود في ذلك الوقت ، إلى التخلف الحضاري ، و الضعف العسكري والاحباط الاجتماعي حينذاك . استخدم صنع الله إبراهيم في الرواية ألفاظا سهلة و تجنب عن غرائب الكلام و لعب دورا هاما في الجمع بين وظيفة الراوي والمؤرخ .

شرف (1996)

هذه الرواية تتناول حالات السجون المصرية في عهد مبارك ، و بطل هذه الرواية هو أشرف العزيز سليمان ، هو طالب جامعي لا يعرف شيئا عن الحقائق الأرضية و يعيش في بيته عيشة راضية لا يبالي شيئا لكن من سوء حظه يقتل رجلا و بعد ذلك يعتقل في إحدى السجون المصرية ، هنا يبدأ حياة جديدة ويفتح عليه بابا جديدا و يلاحظ مرارة الحياة ويمس ذوقا مرا ، و يشاهد معاناة السجن وكيفية الحياة و يلتقي الأشخاص المختلفة و يرى نوعية المساجين ، ويتعجب حينما ينكشف له أن الذين هم في السجن إنما هم الأسماك الصغيرة أما المتهمين الحقيقيين الذين ارتبكوا أكبر الجرائم من الفساد و القتل و استيراد المخدرات والتحرش ، و الاغتيال لا يزالون يقضون حياتهم خارج السجن متتعبين بالعيشة

الثرية.

يقول الدكتور حمزة قناوي:

"إن رواية شرف تقوم برصد التفتت الذي يعيشه أفراد المجتمع، من خلال الاعتماد على فكرة جمع عناصر مختلفة منه والزج بها في وسط أو محيط واحد، يبرز دوره الأساسي في رصد الأفكار والتوجهات المختلفة لكل عنصر من هذه العناصر فكأنما يحكمها «التشظي» والتفتت، رغم كونهم ـ للمفارقة الشديدة ـ وصلوا إلى مصير واحد. فنجد أن هناك في العمل من يمثل الشخصية الواعية بحقوقها والملمة بالانتهاكات التي يتعرض لها الفرد من السلطة الرسمية، ومن الغرب الشرس وعملائه (الدكتور رمزي بطرس)، وشخصيات أخرى تمثل السواد العام لشخصية المعتقلين، وهي شخصيات يغلب عليها عدم الثقة في الوعي أو في فكرة المقاومة كالشخصية السابقة واستسلمت تماماً للمصير الذي وضعت به وتحاول التكيف معه طوال الوقت (بطشة، كعب الداير، السفاح، المهدي، توكّل.. إلخ).

وهذه الشخصيات التي خلقها المؤلف لم توجد إلا لتجسد مفهوم «رؤية العالم»، الذي هو وجهة نظر منسجمة وواحدة تخص الواقع إجمالاً «وهذه ليست وجهة نظر الفرد مستقلاً، وإنما وجهة نظر «النسق الفكري لمجموعة من البشر يوجدون معاً ضمن الشروط الاقتصادية والاجتماعية نفسها». [26]

فهذه الرواية انتقاد شديد لسياسات عهد حسني مبارك حيث من المعلوم لدى الجميع أن الآلاف من المصريين الأبرياء قد قذفوا في السجن للجرائم التي لم يرتكبوا ، و يستعرض صنع الله واقع السجون المصرية و بؤس المعتقلين استعراضا تفصيليا. وعلى جانب آخر فيها انتقاد ساخر لسياسة الانفتاح التي بدأت في عهد السادات و استمرت في عهد حسني مبارك . والقروض التي توالي عليها من أجر توفير التكنولوجيا للمصريين و انتقاد

[26] حمزة قناوي ، قراءة في رواية (شرف) لصنع الله إبراهيم في إطار منهج علم اجتماع الأدب ، مجلة" الرافد"

شديد لتدخل البنك الدولي و توصيات صندوق النقد في السياسة الاقتصادية الداخلية لمصر وما إلى ذلك من الأحداث العظيمة كرفع أسعار السلع الأساسية و اشتغال انتفاضة 1977م التي أغضبت الشعب المصري ، والرفض الشامل لجميع توجهات السادات الاقتصادية ويقول الكاتب محمد الأحمد وهو يمدح هذا العمل الابداعي لصنع الله إبراهيم:

"رواية (شرف) احدى العلامات الروائية الجريئة التي اضافها الروائي المصري (صنع الله إبراهيم)، إلى المكتبة الروائية العربية. اتسمت بموضوعية جلية اعطت هويتها لاجل إن يبقى الكاتب الملتزم مزاحما على الراوي ذاته وبكل تاريخه الشخصي، وسلوكه. فتكون الكتابة هي الحقيقة التاريخية الوحيدة التي لا تقبل التزوير، من بعد إن (انتزعت القلة المستغلة منا الروح، الواقع مرعب، وفي ظل هذا الواقع لا يستطيع الكاتب إن يغمض عينيه او يصمت، لا يستطيع إن يتخلى عن مسؤوليته ولن اطالبكم باصدار بيان يستنكر ويشجب فلم يعد هذا يجدي لن اطالبكم بشيء فانتم ادرى مني بما يجب عمله، كل ما استطيع هو إن اشكر مرة اخرى اساتذتي الاجلاء الذين شرفوني باختياري للجائزة واعلن اعتذاري عن عدم قبولها لانها صادرة عن حكومة لا تملك في نظري مصداقية منحها وشكراً)."[27]

"فالشرف" تمثل أحسن الأمثلة لأدب السجون و تمتاز الرواية بموضوعية جلية فهي صوت عالي للسان العصر الذي يتكلم عن طرق حقيقية و مقنعة ، و رواية استثنائية مذهلة و هي ثالث أفضل عمل إبداعي في قائمة أفضل مأة رواية عربية .

وردة (2000)

تلقي الضوء على تاريخ الثورات العربية والعالمية الاشتراكية ، و يركز خاصة على المحاولات الاشتراكية في السلطنة العمانية و جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية . وردة هي إسم

[27] محمد الأحمد ، الواقع المرعب في رواية شرف ، post poems ، 20 تموز، 2004

لفتاة عمانية الأصل عاشت طفولتها في عمان واليمن ثم هاجر مع أخيها إلى القاهرة للدراسة ثم انتقلت إلى بيروت لمواصلة الدراسة العالية . و تقضي وردة عشر سنوات من شبابها كقائدة عسكرية في حركة تحرير ظفار.

تتكلم هانية عسود عن الرواية قائلة:

"يُقدم الكاتب من خلال مذكرات وردة (من عام 1960 وحتى 1975م) عرض تلخيصي توثيقي حقيقي لجزء من محاولات ومسارات الثورات العربية والعالمية الإشتراكية والتى أتت بأغلبها من خلال إنقلابات عسكرية، مع التركيز بشكل أساسي على المنطقة العربية وتحديداً محاولة جمهرة السلطنة العُمانية وعرض تفاصيل تخص جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

تقضي وردة عشرة أعوام من أهم سنوات شبابها كقائدة عسكرية في حركة تحرير ظفار في الجبال وتحت القصف والكرّ والفرّ المستمرين قبل أن تختفي آثارها هي وعشيقها في صحراء الربع الخالي. تتطرق المذكرات بالإضافة إلى عرض تفصيلي للحياة اليومية للثورة والثوار -اللذين تتنوع جنسياتهم العربية- والتغييرات على المستوى السياسي على المستوى العربي والعالمي، إلى عرض حياة المحليين على الصعيد الثقافي والإجتماعي في المناطق التي تمركزوا فيها خلال الثورة."[28]

وردة رواية استثنائية تتناول فلسفة النظام الاشتراكي على العموم و تؤفر توثيقا ضخما لاحداث تلك العهد التاريخي ، العهد الذي كان تنشأ الأحزاب الرأسمالية ، الاشتراكية الشيوعية القومية في البلدان النامية ... الدور الذي كانت الروس والصين تلعبان في العالم دورا هاما في تحريك الأحزاب الاشتراكية والمنظمات الشيوعية في مختلف الدول العربية مثل عمان ، عدن ، والبحرين و مصر والسودان .الرواية تحكي قصة يوميات وردة التي كانت تؤمن بالمجتمع الشيوعي و تحمل أفكار الماركسية اللينينية ، و تعيش حياة صعبة جدا

[28] هانية عسود ، رواية "وردة" .. للكاتب صنع الله إبراهيم ، rummaneh blog post ، 09/10/2013

لتحقيق هدفها هو الثورة ضد النظام الاستبدادي . و واجهت معاناة كثيرة لكنها أثبتت للجميع أنها قادرة على أن تمثل قيادة سياسية حزبية .

"ولقد شكلت رواية "وردة" فضاء خصبا لسبك كثير من الوقائع والأحداث الواقعية في قوالب روائية مثيرة ابتعدت عن النمط المقالي الجاف الذي عادة ما تكتب به مثل هذه المواضيع. ورغم أن المؤلف نوه في صدر الرواية إلى أن "الأفضل أن تقرأ على أنها رواية"، إلا أن الذين عايشوا تلك المرحلة من تاريخ المنطقة ـ ممن تفاعلوا مع بعض أحداثها أو تابعوها، سواء اتفقوا مع رؤية صنع الله إبراهيم أم اختلفوا يعترفون أن الواقع في يوميات "وردة" يطغى على الخيال!. ويؤكد الناقد والكاتب العماني ناصر الغيلاني في سياق قراءته لرواية "وردة" أن صنع الله إبراهيم كان حريصا ودقيقا في جمع المعلومات وفي طرحه وتناوله الروائي إلى حد أنه جعل البعض ممن قرأوا الرواية يصل إلى قناعة شخصية بأن المذكرات التي كتبتها وردة بطلة الرواية مذكرات حقيقية أصلا."[29]

ففي الرواية انتقاد شديد للثوار الذين قبلوا مناصب رفيعة في الدولة العمانية الحديثة و اصبحوا فريسة التخطيط البريطاني ، و تغلبت عليهم النزعة الشخصية التي أجبرتهم على المبادئ و الأفكار التي كانوا يعيشون بها وتدل هذه الرواية علي أن من الصعب جدا تمثيل و لعب دور الرجل المنفتح على كل شيء. فالرواية تعالج أسباب هزيمة الثوار داخليا و خارجيا ، أما الأسباب الخارجية فهو الدعم الذي كانت السلطنة تتلقى من الجيشين الإيراني والبريطاني بالإضافة إلى الأسلحة الحديثة و التكنولوجيا الجديدة التي كانت السلطنة تستخدم ضد الثوار . أما الداخلية فهو عدم قدرة الثوار على تنظيم الكادرات والنشطاء ، وغياب هدف مشترك بين المنظمات و الأحزاب التي كانت تقاتل ضد الدولة فهي رواية تكشف مصائر الغضب العربي و مصائر الانكسار و خيبات جيل ذلك الوقت و تعكس

[29] محمد عيد العريمي ، السياسة والرصاصة والجنس في رواية "وردة" ، الموقع الشخصي للكاتب محمد عيد العريمي ،

حياة الفتاة المناضلة و الامرأة الأسطورية الفاتنة التي ملأت بالأحلام و الأوهام و الطموحات والإرادة و يتكلم عزيز الموسوي عن الحرب ونهايتها في الفقرة التالية:

" في ختام الرواية نجد أغلب الثوار قد تقلّدوا مناصب رفيعة في الدولة العمانية الحديثة في إشارة واضحة لتغلّب النزعة الشخصية وتغيير المبادئ والأفكار بحسب المقتضيات وإن الفكر الحزبي في تلك الفترة قائم على غسل العقول، فكيف لشخص لا يقرأ ولا يكتب يتقلد مناصب عليا في قيادة حزب ما، ثم الأفكار المطلقة جداً والتي تخالف تجذر الأخلاق في الهوية العربية. أثبتت هذه الرواية أن من الصعب جداً تمثيل ولعب دور الرجل المنفتح على كل شيء. اليوم بعد سقوط الكثير من الأحزاب والأفكار التي كانت تعتبر تقدمية واتضح زيف الدول المساندة لهذه التكتلات، ماذا سيقول كل الذين آمنوا بقضيتهم التي اختلقها الآخر في عقولهم لو أنهم يعودون من قبورهم، وينتزعون رصاصاتهم من صدورهم وجماجمهم التي لوثتها أفكار غربية لا أفكار شخصية تنتمي لبيئتها."[30]

فيمكن القول أن " وردة " واحد من أبرز و أحسن الروايات التاريخية لصنع الله إبراهيم الذي نجح فيها نجاحا كاملا في عرض الحركات الاشتراكية و الشيوعية في الدول العربية ، و دور الصين والروس في دعم هذه الحركات ، والهيمنة الأجنبية على البلدان العربية و التدخل الخارجي في شؤون سكان العرب الاقتصادية والسياسة والثقافية و الاجتماعية ، و استبداد حكام العرب على سكانها و موطنيها، والعبودية والاستسلام أمام القوات الخارجية. هذا كله عالج صنع الله إبراهيم كمحلل و مؤرخ و مفكر سياسي فهي من أهم رواياته لاقت قبولا في الأوساط الثقافية المصرية واللبنانية والخليجية .

[30] عزيز الموسوي ، رواية «وردة» لصنع الله إبراهيم: الأوطان العربية في زمن الشيوعية ، جريدة " الوسط " ، 19 يوليو 2014

القانون الفرنسي

الفكرة المركزية في هذه الرواية هي الاستعمار الفرنسي و جرائمه التي ارتكبها في الجزائر والدول العربية و الإفريقية الأخرى مع إشارة واضحة إلى القانون الذي تقدم إثنان من نواب الجمعية الوطنية الفرنسية في 2003م بمشروعه للاعتراف العام بالعمل الإيجابي للفرنسيين الذين عاشوا في ا لجزائر أثناء الوجود الفرنسي . و غرض هذا القانون هو غياب صفحات الاعتداء الاستعماري الفرنسي من الفصول التاريخية والتشديد على الجانب الإيجابي للاستعمار الفرنسي . و تقدم الرواية على التخيل و استلهام التاريخ حول مجيء الحملة الفرنسية والدور الدموي الذي قامت به ويقول الدكتور صلاح فضل:

"وقد يلخص المؤلف رؤية كاملة لمراحل التاريخ المصري علي لسان الراوي, مادام قد جعله أستاذا للتاريخ, وهذا يبدو أنه مبرر لكنه عندما يفعل ذلك في اللحظة التي يتأهب فيها هذا الأستاذ لنسج خيوط من الغزل الرقيق حول إحدي زميلاته في المؤتمر وهي الفرنسية الحسناء سيلين فيقول لها كل مانعانيه من مشاكل في العالم العربي سببه أننا لم نتمكن من إقامة صناعة وطنية متطورة في البداية جردنا العثمانيون من الموارد البشرية والمادية, التي تصنع التراكم الضروري للانتقال إلي عصرالآلة وجاء بعدهم الفرنسيون والإنجليز. كل محاولة بذلناها كان الغرب يجهضها علي الفور, لاغرو بعد هذه المداعبات الغزلية للسيدة الفرنسية أن تتركه مندهشا ومرتبكا أمام باب المصعد وهو في طريقه إلي صحبتها فتحبط هي الأخري مشروعه في قضاء ليلته الأخيرة معها لأنه ساذج ومتخلف علي حد تعبيرها فتنتقم بقانونها الروائي الإنساني من إسرافه في نقد القانون الفرنسي الذي كان يقضي بإعادة الاعتبار للاستعمار, وتكشف في الآن ذاته عن وعي المبدع صنع الله إبراهيم العميق بالطبيعة الجمالية

للمواقف الروائية, بحيث يتوازن هذا الانتقام مع الحمولة الأيديولوجية الثقيلة علي الشخصيات المتخيلة."[31]

و تدور الرواية حول شخصية و هي الاستاذ في الجامعة يدرس التاريخ المقارن وهو تلقى الدعوة لمؤتمر حول الحملة الفرنسية على مصر في إحدى المعاهد الفرنسية . و تلقي الرواية الضوء على الاتجاهات و الآراء المختلفة عن الحملة الفرنسية ، فبعض يركزون على الجانب الإيجابي للاستعمار الفرنسي وما إلى ذلك من الدور الذي لعب الاستعممار في تعريف العلوم الجديدة والتكنولوجيا الحديثة والوعي الاجتماعي والشعور السياسي بين جماهير العرب وبعض ـ على النقيض- يعرضون السلبيات و التخريب والتدمير التي جلب الاستعمار في دول العالم الثالث و يركزون على تاريخ الظلم والاستبداد الطويل .

تتناول الرواية القانون الذي تم سنه بفرنسا، لكي يعيد الاعتبار للاستعمار الفرنسي في مختلف أنحاء العالم، وخاصة في شمال أفريقيا، باعتباره أداة للحضارة والتمدن، ويرصد صنع الله إبراهيم في روايته الجديدة وقائع مشاركته ببعض المؤتمرات العلمية بالعاصمة الفرنسية باريس حول قضايا الاستعمار والتحرر. والرواية وفق "أخبار الأدب" الأسبوعية المصرية تعد جزءا ثانيا من روايته الأخيرة " العمامة والقبعة" التي صدرت العام الماضي. ويستعرض إبراهيم في الرواية كما نقلت عنه صحيفة "الجزيرة" السعودية نماذج من الأكاديميين المشاركين في هذه المؤتمرات - خاصة العرب منهم - وتوجهاتهم الفكرية والسياسية. كما يبرز الروائي الدور الدموي الذي قام به الاستعمار الفرنسي منذ حملة نابليون في مصر وفلسطين، وصولا إلى المجازر الفرنسية بالجزائر. وقد استمد صنع الله إبراهيم المادة الوثائقية لروايته الجديدة من الكتب العربية والفرنسية الصادرة حول الموضوع.

[31] د. صلاح فضل ، صنع الله إبراهيم في القانون الفرنسي ، جريدة "الأهرام" 19/01/2009

وخصص صنع الله إبراهيم ـ وفق عادته- عددا من الصفحات لانتقاد نظام حسني مبارك و سياساته تجاه المواطنين المصريين الجابرة و يقيم الرواية توازنا رائعا بين عرض الأحداث و الوقائع وانتقاد السياسات و عدد من النقاد يذهبون إلى أن القانون الفرنسي هي تكملة الروايتين السابقتين لصنع الله إبراهيم " امريكانكلي " و" العمامة و القبعة "من رصد لطبيعة العلاقة بين الشرق العربي و الغرب الأروبي ، لأن الشخصية الرئيسية في القانون الفرنسي هي نفسها الشخصية الرئيسية في " العمامة و القبعة " . وتشبه هذه الرواية كثيرا من روايات صنع الله إبراهيم حيث تقوم على التوثيق التاريخي و تزخر بوثائق تدين ممارسات الاستعمار الفرنسي في كثير من أحياء العالم .

التلصص (2007)

تلقي الضوء على المجتمع المصري في الأربعينات ، بطل هذه القصة صبي يبلغ من عمره أحد عشر عاما يقضي حياته مع أبيه المتقاعد. الرواية تبني على المجهودات و المحاولات التي يبذل أبو البطل في الحصول على الحياة التي تملأ بالمعنى و الحيوية ، الحياة التي تعطي لمحاته الباقية سببا للفرح والسرور ، و هي تحكي عن الفقر والبؤس والمعاناة التي كان المجتمع المصري حينذاك يمر بها . و تحكي عن الأحلام المكسورة التي يعيش بها الإنسان ، و الأهداف غير المعينة التي تحيط حياة الإنسان يقول احمد ناجي:

> "رواية جديدة لصنع الله إبراهيم حدث لا يمكن تجاهله. وفي روايته الأخيرة الصادرة عن دار المستقبل العربي بعنوان "التلصص" يضعنا صنع الله من الغلاف أمام صورة قديمة لرجل وقور وصبي صغير، لنتعرف من الفصل الأول على طفل وأب وكاتب يحاول استعادة زمن ما يتسرب من بين يديه من خلال كتابة عمل على غلافه كتبت كلمة "رواية" تتضافر معه السيرة الذاتية للكاتب نفسه. بالطبع هذه منطقة جديدة لصنع الله الذي بدأ الكتابة بعمل مدهش ومغامر "تلك الرائحة"، ليتحول عنها بعد ذلك

ويعود إلي أحضان الواقع والهموم الاجتماعية، محاولاً تقديم ديوان حال المجتمع المصري.

في الحقيقة لم يكتفي صنع الله فقط بالمجتمع المصري، فقد انتقل بنا إلي بيروت وعمان، وحتى أمريكا لم تسلم من شغفه التسجيلي. في كل هذه الأعمال حافظ صنع الله على لغة حية لكنها حيادية، حيث نادراً ما يستخدم التشبيهات أو المجاز هو فقط يكتفي بتسجيل الواقع –أو ما يعتقد أنه كذلك- بلغة باردة متقشفة، تولد إيقاعها من المفارقة والسخرية مع كم هائل من القصاصات الصحفية والمراجع التاريخية."[32]

الرواية مليئة بذكر الأحداث العظيمة مثلا الصراع بين المواطنين و السلطة الفاسدة ، و ملحمة فقراء مصر في تلك الأيام ، و الصراع العربي الإسرائيلي و ما إلى ذلك من تفاصيل الحياة اليومية لبطل هذه الرواية . التلصص تصور مصر الأربعينات من كل زواياها و جوانبها تصويرا استثنائيا جدا من خلال ملحمة والد ، فقد زوجته ، و لم يقدر على الزواج مرة أخرى رغم جهد طويل بسبب عدم الوسائل المادية فاضطر إلى أن يعيش مع إبنه و يقوم بنشأته و تربيته.

السرد في هذه الرواية يميل إلى السهولة و الامتناع و يجري سرد الأحداث على لسان طفل صغير ، يفضل الكاتب سرد القصص بالشكل السهل الممتنع على لسان طفل صغير لتأتي العبارات بسيطة التركيب عميقة المعاني موجزة ومحددة الهدف و منذ بدايتها يطرح الكاتب علاقته بأبيه الرجل العجوز الذي يعيش معه، يتحدث عن مفردات هامة في حياته كالبؤس والشقاء والحرمان وعلى النقيض أخته نبيلة التي تعيش الحياة الرغده لكنها بعيدة عنهم تعيش مع أولادها وترعاهم وتلبسهم أفضل الثياب وعباراتها بسيطة التركيب عميقة المعاني ، و فيها انتقادات الناس للإخوان المسلمين والملك والإنجليز والحكومة و أخبار القصص الملكي و الأحزاب ، و الحرب العربية الإسرائيلية .

[32] أحمد ناجي ، "التلصص".. مغامرة صنع الله الجديدة ، جريدة الاشتراكي ، 29 مارس 2007

ويسعي الكاتب أن يدخلنا بطريقة مباشرة في ميدان السياسة من خلال انتقادات الناس للإخوان وغضبهم علي الملك والإنجليز والحكومة، وزجرهم وتوبيخهم للدولة لارتفاع أسعار الفساتين الجديدة في المحلات. فهو يحاول من خلال الراوية استخدام لغة الأرقام كثيرا والتي يجيدها من خلال عمل مقارنات حول أسعار السلع التي تضاعفت مائة مرة منذ الأربعينات في الوقت الذي ثبتت فيه الأجور ولم تزد بنسبة ضئيلة ، في هذه الرواية حاول صنع الله إبراهيم التركيز على مجتمع الأربعينات وأوضاع ذلك الوقت السياسية والاقتصادية من كل زواياها وجوانبها، وبدأ كلامه عن أبيه الذي فشل في الزواج بامرأة أخرى بعد وفات الزوجة.

يقول الدكتور طاهر وطار:

" لأول مرة، أصادف عملا ملحميا، انمحي منه الفعل الماضي، وحل محله، مشمرا علي ذراعيه، الفعل المضارع، مستعينا بالاسماء أو بشبه الجملة. يجعل المضارع، المرء في وضعية من يشاهد حركات كاميرا، علي الشاشة، في مناظر لا تتقطع. حتي أننا نكاد، نتوهم أنه، صنع الله، يأخذ بأيدينا نحن، ككاتب، بدل الابن الذي يأخذ بيده أبوه. ولقد تولدت قوة هائلة في جعل السرد، حركة، وليس توهما أو خيالا. لغة إبراهيم صنع الله كعادتها تتجنب التقاعر، لتكون سلسة، خجولة أمام الصورة أو الحركة، ولكنها معبرة بقوة، عما يراد أن يصلنا، ولقد جعل إبراهيم، كل مفردات المجتمع المصري، المعبرة عن أشاء دخيلة، لا بديل لها في الفصحي، تندمج مع النص، دون أي نشاز.

استعملت عبارة ملحمة، وأكررها دون تردد، فهي ملحمة فقراء مصر أيامها. ملحمة الصراع مع سلطة فاسدة. ملحمة حداثة، تدق الأبواب، بإمكانيات محدودة.ملحمة الصراع العربي الإسرائيلي. ملحمة أب شبيه بسيزيف، صخرته هي هذا الولد الذي يحبه في عمقه، والذي لا يمكن أن يفرط فيه. ملحمة هذا الولد المحكوم عليه بالعيش

معظم طفولته مع الكبار. ملحمة النمو والاكتشاف، الطبيعيين الغريزيين. هنيئا صديقي إبراهيم ". [33]

فهي من أروع من أعمال صنع الله إبراهيم و كثير من النقاد يقولون إنها سيرة ذاتية للراوي، لكنه يرفض هذه الفكرة بكل شدة. فالخلاصة أن أحداثها تتمحور على خلفية أحداث 1948 و دخول الجيش المصري إلى فلسطين بعد إعلان دولة إسرائيل .

الجليد (2011)

تحكي عن الروس لاسيما عاصمتها الماسكو في السبعينات ، و تدور الأحداث حول رجل مصري ـ بطل هذه الرواية ـ الأستاذ الجامعي المصري الدكتور شكري الذي انتقل إلى موسكو في نطاق التبادل الأكاديمي ، و تلقي الضوء على الحياة في الاتحاد السوفياتي السابق وجذور انهياره اللاحق و تعالج الحياة الاجتماعية والسياسية في روسيا السوفتياتية في عهد بريجنيف،[34] و تذكر حياة الطلاب الذين يقيمون في الجامعات ، و لحظات حياتهم اليومية والشوارع و حافلات المترو ، و يوجد هناك الجمع بين مختلف الجنسيات من الطلبة الذين جاؤوا موسكو للدراسة العالية . فهي كناية رامزة للحياة السوفيتية في مطلع عقد السبعينات ، على لسان طالب مصري يكتب اليوميات و يقيد كل ما يسمعه و يرى في مختلف المقامات.

يقول الدكتور فيصل دراج:

" ثلاثة عناصر تتكامل في رواية إبراهيم المتوالدة: أشياء من سيرة ذاتية يسردها فرد مغترب، وبشر يشبهون الأشياء تصفهم لغة خارجية باردة، وتلك «الوثيقة المعرفية»

[33] طاهر وطار ، الطاهر وطار يكتب عن صنع الله إبراهيم:تلصص عن التلصص ، منتديات سودانيز اونلاين ، 4فبراير2007

[34] سكرتير الحزب الشيوعي ورئيس الدولة في الاتحاد السوفيتي. توفي عام ١٩٨٢

التي تبدو «أساساً» يفسّر سلوك بشر يفسّرون أنفسهم خطأ. وقد تذوب الوثيقة في أقدار بشر عاصروا حملة بونابرت على مصر، كما هي الحال في رواية أخيرة «العمامة والقبعة».

ينفتح ما سبق على السؤال التالي المنتظر: ما الذي يتوقعه قارئ قديم لصنع الله من عمله الجديد: «الجليد»؟ هناك جواب جاهز لا تنقصه المجازفة يقول بقياس اللاحق على السابق، فلا أحد يتحرر من عادة أمسكت به، وهناك جواب أكثر أناة ينتظر الانتهاء من القراءة. لا يخيّب الجواب الجاهز توقعات القارئ، أو أفق التوقّع بلغة النقاد، ذلك أن ما ينسج الوثيقة واضح في الصفحة الأولى، فالعام هو 1973م، وهناك الشهر أيضاً، والمكان هو موسكو «العاصمة الاشتراكية» المحملة ببرودة الطقس وصقيع النظام البيروقراطي الناظر إلى «شمس بعيدة». يدور مع الوثيقة وفيها السارد المغترب الذي يشتقه الروائي من «سيرة ذاتية أو ما يشبهها»، تتوسطها «مدينة جامعية أممية»، تتقاطع فيها «الشعارات الإيديولوجية» وعيون «حراس الاشتراكية». أما البشر الأشياء فهم «الروس» بألبستهم الثقيلة ووجوههم المتجهمة، و «طالبات المعهد» اللواتي يرى فيهن «السارد المغترب» أشياء رخيصة متحركة، معتقداً أنه إنسان سوي يستغل «الأشياء الجميلة» المتاحة في نظام قمعي. " [35]

«الجليد» هي أروع ما كتب المصري صنع الله إبراهيم من روايات. يبين عن خفايا وأسرار الحياة في الاتحاد السوفياتي السابق ويلقي الضوء علي أسبباب وجذور انهياره اللاحق. ويقدم بانوراما للحياة الاجتماعية والسياسية في روسيا السوفياتية على عهد بريجنيف..

تشير الرواية في البداية إلى أن كل الأحداث تدور عام 1973، وهو تاريخ ذو أهمية بالغة مهمة وحماسة عظيمة للقراء العرب بلا شك، إذ تحول فيه العديد من موازين القوى في العالم في شكل عام وانقلبت خريطة العلاقات السياسية وحدث الكثير من الضجات العنيفة

[35] فيصل دراج ، صنع الله إبراهيم من تجربة تاريخية إلى هوس فردي ،" مبدعون فلسطينيون"صفحة فيسبوك ، 24 May 2011

لليسار العربي.

يقول الدكتور صلاح فضل:

" تبدو رواية الجليد وكأنها مجموعة لوحات معلقة علي الحائط, يبلغ تعدادها 126 لوحة بعدد الأرقام المثبتة عليها, مع قطع خيوط الارتباط بالماضي أو العودة إليه، حيث تصر علي مجافاة الطبيعة التاريخية للكائن البشري. يوقف المؤلف تقريبا ذواكر الأشخاص ويعطل ذاكرة النص ذاته, اكتفاء برصد سطح المشاهد والحركات مع استبعاد إضاءة الأسباب البعيدة أو توقع النتائج الأخيرة. وهنا يتعين علي القارئ أن يبني وحدة خيمة المتخيل الكلي للرواية, دون أن يعينه النص بمؤشرات رابطة أو علائق عضوية بين التفاصيل الصغيرة المتتالية, وربما لو افتقدت اللوحة علي مشهد محدد لاستطاع أن يملأ ثقوب الوعي بمساحته وألوانه وتشكيلاته, لكنها تحتوي علي فسيفساء دقيقة من عشرات الأفعال والحركات والأوصاف المدمجة بأسلوب حواري غير مباشر, نلهث في متابعته ونجتهد في تكوين إطار كلي له. مع حرصه علي إعطائنا صدمات متتالية بمشاهد لا يمكن أن يخلو منها جاليري الفنون التشكيلية أو تتفاداها السينما أو الرواية الحديثة. "[36]

فمعظم الأحداث والوقائع تدور في غرف مقر خاص وممراته، وأحياناً في بعض الشوارع، وداخل حافلات المترو. تحتل المساحة المغلقة الجزء الأكبر وهو احتلال مبرر بفعل الجليد الذي يكسو كل شيء. لا توجد أي شخصية محورية في هذا البيت، فالجميع يتفاعل بالطريقة نفسها التي ترتكز في مجملها على الأكل والشرب والعلاقات المتعددة التي لا تدوم كثيراً، بل تبدأ وتنقطع بالقليل من الكلام. يضم بيت الطلبة مختلف الجنسيات، فهناك أفارقة وعرب، إضافة إلى الجمهوريات السوفياتية.

[36] د. صلاح فصل ، صنع الله ايراهيم يجسد الجليد ، جريدة الاهرام ، 5/29/2011

أمريكانلي

رواية الأحداث التاريخية والفكرية والنفسية والسياسية والاجتماعية، هي دراسة مقارنة بين الدولتين مصر والولايات المتحدة الامريكية ، أو البلدين سان فرانسسكو والقاهرة . و فرانسسكو هي المدينة التي يقضي فيها البطل شهورا عديدة جاء على دعوة إحدى جامعات تلك المدينة المعروفة ، و هو أستاذ زائر في ميدان التاريخ يلقي الضوء على حياة مؤرخ معاصر في محاضراته. تبدأ أحداث الرواية بوصول البروفيسور المصري لولاية فرانسيسكو في الولايات المتحدة الأمريكية كأستاذ زائر بالتاريخ المقارن ليقوم بتدريس مادة التاريخ المقارن.

يقول الدكتور عادل فريجات:

" لقد أدهشتني تلك الرواية بسبب ما حفلت به من معلومات موثقة، استندت فيها إلى أقوال صحف أميركية ومصرية، وقعت الإشارة إلى أرقام أعدادها وتواريخها، بضبط يشبه ضبط الإحالات في الرسائل العلمية التي يكتبها طلبة الدراسات العليا في الجامعات،فهو مثلاً يوثق رقم عدد صحيفة الـ «نيويورك تايمز» الذي يتحدث في عدة صفحات عن عشرة أيام من حياة الرئيس الأميركي (بيل كلنتون) في البيت الأبيض بين عامي 1995 و 1997م، حيث يذكر التقرير أن الغرف المجاورة للمكتب الرئاسي المعروف بالمكتب البيضاوي شهدت سلسلة من اللقاءات الجنسية بين الرئيس ومونيكا، شغلت أقل من عشر ساعات على مدى 16 شهراً. وتاريخ ذلك العدد هو 14 سبتمبر 1998م (الرواية ص92). ويشير أيضاً إلى لمع من الحياة الأميركية من خلال العدد الصادر في 3 أكتوبر 1998م من صحيفة مجانية يصدرها طلبة جامعة بيركلي العريقة الواقعة على الناحية الأخرى من الخليج المقابل للشاطئ الشرقي لسان فرانسيسكو. (الرواية ص 139). أما العدد الذي يطرح السؤال التالي (هل الله أميركي؟) ويناقشه فهو العدد الصادر في أول ديسمبر من العام 1997م من مجلة

(التايم.. للبلهاء) التي تسخر من مجلة (التايم) الشهيرة الأميركية. وهي المجلة التي شاركت في إصدارها إحدى طالبات الذات الراوية، ويصدرها طلاب جامعة: أموري «في مدينة اتلنتا. وقد حرف الطلبة اسم المجلة بحرف واحد كي يفلتوا من الملاحقة القانونية. "[37]

وتبني الرواية على دعامتين : بسط حياة البطل الخاصة الذي يبذل الجهد العظيم إقناع طلابه خلال التدريس ، و لكي يحس الطلبة بالتلذذ و المتعة في سماع المحاضرة والثاني هو بسط المعلومة التاريخية المتنوعة والغنية.

فالرواية مليئة بالأحداث التاريخية المصرية و تاريخ العرب و تاريخ أمريكا ، و شخصيات عظيمة من تاريخ مصر العربية ، و يلقي الضوء على الفتح العربي لمصر ، و محمد علي و مشروعه النهوضي ، و جمال عبد الناصر و أنور السادات و الشخصيات العظيمة في مختلف مجالات الحياة مثل طه حسين وعباس محمود العقاد و نجيب محفوظ و غيرهم .

يقول الدكتور نديم جورجوره:

"تكمن الفائدة الأولى من كتاب كهذا في تحديده مراجع تاريخية وأسماء متخصّصين في شؤون الفكر والتاريخ والأدب والصحافة وشخصيات تاريخية فاعلة في مجتمعاتها وغير ذلك من المعلومات العامة، يُمكن أن يركن إليها كل راغب في التاريخ أكان نصّا حكائيا أم بحثا علميا. ففي أمريكانلي ثبت بها ومقتطفات مطوّلة من بعضها وضعها متخصّصون مصريون وعرب وأجانب، واستشهادات كثيرة مختارة من كتب وأقوال وضعها وباح بها عدد من المعنيين، أمثال أستاذ الجغرافيا البشرية المصري جمال حمدان وفوكوياما وابن حنبل والمؤرّخين الفرنسي فرناند بروديل والأميركي المعاصر بول كندي والبريطاني أرنولد توينبي. هناك أيضا الباحث المصري أحمد حسين وأستاذ الجيولوجيا المصري رشدي سعيد والروائي ساباتيني

[37] د. عادل فريجات ، قراءة في رواية «أمريكانلي» لصنع الله إبراهيم ، مجلة تشرين ، 01/09/2004

(كاتب عدد من الروايات التاريخية)، من دون أن ننسى شخصيات تاريخية وأبرزها حتشبسوت التي تغنّى بها الراوي مرارا. بالإضافة إلى مقالات وتقارير متنوّعة، منها تقرير صحيفة <<نيويورك تايمز>> في عددها الصادر بتاريخ 14 أيلول 1998م بخصوص العلاقة الجنسية بين الرئيس الأميركي بل كلينتون والمتدرّبة مونيكا لوينسكي. "[38]

وتذكر الرواية الحقائق التاريخية مسلحة بالعلم والتجربة ، وتحفل بالمعلومات المؤثقة والمستندة .

برلين 69 (2014)

تتناول فترة خطيرة في التاريخ العالمي الحديث ، و برلين التي وقعت تحت سيطرة الروس في الحرب العالمية الثانية و تتحدث عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية بعد التقسيم ، و كيف فرق السور بين المنطقة الشرقية والغربية تفريقا عدوانيا بين عائلات و أشخاص و كيف منعت الجماهير من التواصل بسبب السور. و تلقي الرواية الضوء على التفاوت الاقتصادي بين الشرقية والغربية وتعالج الارابا وهم الذين انتقلوا إلى ألمانيا للبحث عن العمل.

تقول ياسمين الغمري:

" ذهب «صنع الله» في روايته إلى محورين أساسين، الأول هو وصف معاناة الألمان بعد بناء سور برلين، وفي هذا الصدد قال مؤلف رواية التلصص «لم يقتصر تأثير نكسة 67 وإصابة الاشتراكية بحالة من الترهل على مصر وحدها، بل انعكست على بؤر أساسية في العالم منها برلين، التي كنت مقسمة أنذاك بين ألمانيا الشرقية والمانيا

[38] د. نديم جورجوره ، أمريكانلي>> صنع الله إبراهيم التاريخي يطغى على الروائي ، جسد الثقافة ، 23/10/2004

الغربية، لتزداد الأوضاع سوءًا بعد بناء سور برلين ويحدث الانفصال التام بين الجهتين، وتبدأ كل منطقة بتطبيق نظام اقتصادي مختلف، فأتبعت ألمانيا الغربية النظام الرأسمالي وبذلت كل الجهود كي تصبح وجهه مشرفه لهذا النظام، على عكس ألمانيا الشرقية التي عانت من الحرمان وفقد أهلها التواصل مع ذويهم الذين يقبعون خلف سور برلين، وهذا الجزء واضح تمامًا في الرواية من خلال إمراة تنتمي لسكان ألمانيا الشرقية، كان يربطها علاقة حب بشخص وقع حظه أن يكون من سكان المانيا الغربية بعد بناء السور، مستعرضًا كم المعاناه التي تقاسيها هذه السيدة»"[39]

فهي رواية ساخرة مؤلمة و موجعة ، يصف فيها الكاتب الحالة الازدواجية التي كانت تعاني منها ألمانيا ، و يسخر الاشتراكية كما يسخر من المثقف المصري العربي الذي يعيش ازدواجية ثقافية ، وتتكم عن العمال الفقراء الذين يهاجرون إلى الخارج هربا من الفقر والبؤس و الخلل الاجتماعي والاقتصادي ، و كيف أنهم كانوا يتخذون الوسائل الشرعية و غير الشرعية في تحقيق أهدافهم.

و بطل هذه الرواية " صادق حلواني " الذي هاجر إلى أوربا و هو يبحث عن الثقافة الجديدة لكي يفر من الضيق الجنسي الذي يحرمه من العلاقات الإنسانية الكاملة مع النساء وفيها انتقاد شديد للنظام الاشتراكي المتناقض المترنح الذي بدأ محاولات الاستفادة بآليات السوق لكي تطبق الخطة المركزية وانحطاط بالغ في الفن و الأدب بسبب الكتب للحرية ، ويعيش الناس تحت هذا النظام حياة طويلة لكن الحرية معدومة ، لذا لا يعرفون الفرح والسرور ، و يحاول الكل أن يفر عن هذه الحياة وهي تقابل بين ثقافتين في لحظة معينة من التاريخ و هي عمل أدبي فني عظيم.

يقول محمود عبدالله:

[39] ياسمين الغمري ، صنع الله إبراهيم: «برلين 69 » ساخرة تحطم التبوهات الفكرية في العالم ، جريدة" البديل" 29/08/2014

"وهي رواية ساخرة جريئة مثيرة للجدل، مثل كاتبها الإشكالي مع كل رأي أو منجز إبداعي يصدره، خاصة بعد رفضه تسلّم جائزة الرواية العربية عام 2003 التي يمنحها المجلس الأعلى للثقافة في مصر، والرواية كالعادة تغمز في قناة الواقع المصري، وتنضم في فكرتها وروحها إلى روايات المؤلف التي تدور أحداثها في أماكن مختلفة من العالم، فعلى الصعيد السياسي، تتماهى مع مرحلة الانقسام التي كانت تعيشها ألمانيا عام 69، كما كانت مصر آنذاك تعيش ذروة حرب الاستنزاف بعد عامين من هزيمة عام 67، والآثار الخطيرة التي تركتها على المناحي كافة في المجتمع والحياة المصرية، وهي على وشك أن تفقد زعيمها جمال عبد الناصر، وعلى الصعيد الاجتماعي والإنساني، فتناقش الرواية بجرأة عالية طموحات الشباب المصري في الهجرة، والركض وراء أحلام زائفة، والحياة الحرّة المنطلقة بلا قيود. "[40]

[40] محمود عبد الله ، «برلين 69» عودة إلى موضوعة الصدام الحضاري ، جريدة الاتحاد" ، 28/08/2014

الباب الثالث:

المتجمع المصري كما ينعكس في رواية

"ذات"

الفصل الأول:

النقد الاجتماعي

رواية "ذات" هي قصة امرأة مصرية عادية بسيطة تتعلق بالطبقة الوسطى المصرية، وبطلة هذه الرواية امرأة اسمها "ذات" التي تولد عام 1952 نفس السنة التي يعلن فيها الضباط الأحرار سيطرتهم على عرش مصر، وتلغي الملكية وتحرر مصر.

ذات رواية تاريخية وتوثيقية لها قسمان:

قسم يتناول حياة بطلهتا "ذات" اليومية من مولدها مرورا بطفولتها وشبابها حتى كهولتها، ويتناول حياة أسرتها وزوجها عبد المجيد ونهج حياته من جهة ومن أخري يلقي الضوء علي العلاقة بين الزوجين واعتداء عبد المجيد على ذات، ومحاولات ذات من أجل تحقيق أحلامها وأغراضها الحياتية

والقسم الثاني هو تاريخ مصر السياسي والاجتماعي والثقافي الحديث من 1952 حتى 1991م، ويحيط الأحداث العسكرية العظيمة التي وقعت في مصر، نشير إلى الصراع الثقافي الذي كان جاريا، ويتكلم عن التقلبات السياسية التي غيرت المجتمع المصري إلى حد كبير بداية من زمن جمال عبد الناصر إلى السادات وحسني مبارك.

القسم الأول من الرواية يعرض صنع الله إبراهيم من خلال السرد العادي، لكن القسم الثاني من الرواية هو مقتطفات من عناوين الصحف المحلية يلقي فيها الضوء على معظم حقائق الحياة اليومية ، ويلقي الضوء على الأوضاع الاقتصادية المصرية، والظروف السياسية وما إلى ذلك من الحوادث مثلا: التصيحات المتناقضة والسرقات وسوء استعمال السلطة وحواث اغتصاب ملايين من الأموال المهدة وظهرة الأثرياء الجدد."ذات" هو اسم بطلتها التي يعرض المؤلف من خلالها أهم مراحل التحول في تاريخ مصر الحديث.

تبدأ الرواية بميلاد ذات كما نرى في الصفحة الأولى "نستطيع أن نبدأ قصة ذات من البداية الطبيعية ، أي من اللحظة التي انزلقت فيها إلى عالمنا ملوثة بالدماء، وما تلي ذلك

من أول صدمة تعرضت لها، عندما رفعت في الهواء وقلبت رأسا على عقب ثم صفعت على أليتها التي لم تكن تنبى أبدا بما بلعته بعد ذلك من حجم من جراء كثرة الجلوس فوق المرحاض".[41]

وما إن نتجاوز صفحات قلائل إلا وهي في مرحلة الشباب أمام النوم وأحلام اليقظة في حب عبد المجيد الرجل الوسيم الأنيق المسلح بالضروريات الذهبية "علبة السجائر والولاعة (رونسون)، الخاتم عطر سبايس الحذاء الضيق المدبب معرفة بأنواع الطعام وبرتوكولاتها شكوة دائمة من سياسة المتحيزة للقطاع العام التصنيع طريقة متعالية في الإشارة لسائقي التاكسي تجبرهم على التوقف وتملأ ذات بالزهو أهمية بالغة يضيفها على كل حرف يخرج من شفتيه"[42]

فبعد قضاء الأيام العديدة، والأوقات الرومانسية تتزوج ذات من عبد المجيد وكانت هذه الأوقات أوقات الآمال العريضة والتطلعات الحسورة. وذات الرواية بجانب كونها ذات بطلة واحدة تمثل حياة أبطال الشخصيات الأخرى ذات الأهمية البالغة وهي شخصيات حاملين إلى كيانات غريبة مضطربة تتدافع في جو الاتجاهات في جو فوضى وفي مناخ مشحون بالخوف وانعدام الأمن الاجتماعي...النزعة الاستهلاكية التي ميزت السبعينات في أعقاب حرب 1973م وحدوث طفرة البترودولار.

النقد الاجتماعي

ويصور صنع الله إبراهيم جريمة السياسة وبشاعة المجتمع الفاسد من خلال لوحات تقريرية، في كل مقتطفات من عوانين الصحف ويبين من خلالها حقيقة الفساد الشائع في مصر من سفح القطاع العام والتدخل الأجنبي والهيمنة الخارجية على اقتصاد مصر

[41] ذات ، ص 1

[42] ذات ، ص 4

ويتضح هذا بإلقاء النظر على العناوين الصحفية "السفير الأمريكي في القاهرة يوجه السباب إلى مسؤول مصري كبير"[43] هذا العنوان يلقي الضوء عل مدى السيطرة الأجنبية على سياسة مصر.

"ضغوط أمريكية مكثفة على مصر لتنشيط التطبيع مع إسرائيل"[44]

في ظل هذه الظروف تعتزم ذات أن تحقق أحلامها الصغيرة... الدراسة في الكلية ، الحرية في اللباس، والاحترام والتقدير من الزوج وما إلى ذلك. الأهداف والمقاصد التي تحلم بتحقيقها.

صنع الله إبراهيم يقدم أهم الأحداث المصرية من خلال حياة الفتاة البسيطة، والوجه العادي يتحول إلى الوجه الخاص، والشخصية بسيطة تتحول إلى شخصية هامة.

وجه عادي تراه أعيننا في الشوارع والأسواق والطرقات ولا يلفت نظرنا، ولا يجتذب انتباهنا، لكن صنع الله إبراهيم اختارها لتعكس أحداثا عديدة وقعت في المجتمع المصري.

ذات هي أولا الزوجة والأم ورب البيت ثم مؤظفة في أرشيف جريدة ما حيث تقضي هي وزميلاتها أكثر أوقات العمل في الحديث عن الأشياء المختلفة والأحداث المتعددة، يحكي الكاتب سيرة بطلته ويحيظ بطفولتها وصباها وزواجها وأسرتها وعن حياتها اليومية ويستخدم نوعا من الرحلة التي يعرض من خلالها الصورة العامة للمجتمع المصري الحديث حيث نجد أن الذات تزور المحلات التجارية والمدرستين العربية والإنجليزية والمستشفى ومركز الشرطة ومكتب الصحة وميناء الإسكندرية، وما يجري في هذه الأمكنة يمثل مزاج مصر المعاصر وطبيعة سكانها.

---

[43] ذات ، ص ،77

[44] ذات ، ص ،77

ركز صنع الله إبراهيم تركيزا خاصا على الوضع السياسي المصري في زمن السادات وحسني مبارك وبذلك أن معظم الحياة الإنسانية يتأثر بالسياسة وعواملها أكثر بكثير من العوامل الأخرى المؤثرة على الحياة.

السياسة المصرية تغيرت تغيرا كثيرا بعد ثورة 1952م وبعد استيلاء جمال عبد الناصر على عرش مصر، لكن عامة الناس لا تزال تعاني من الفساد الإداري، والاعتداء الرأسمالي، وعلى صعيد نجد الرقابة الحكومية على الكتاب والمثقفين الذين كانوا يكتبون ضد الاعتداء والظلم، وعلى صعيد آخر وإنه يلقي الضوء على المحاولة الحكومية في اتهام المعارضة في قضايا كثيرة، ورد الفعل من المعارضة في دفاعها وتكلم عن الإخوان المسلمين واليساريين والأيدولوجيات المختلفة المنتشرة في مصر، ويبين كيف تغيرت سياسة إسرائيل تجاه مصر بعد موت جمال عبد الناصر، وكيف انتقلت إسرائيل من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم الضغط، وأشار إلى زيارة الرئيس أنور السادات القدس عام 1977م واتفاقية كامب ديفيد التي افضت إليها عام 1979م، كيف خرجت مصر من المرحلة الناصرية الثورية في زمن أنور السادات، وحلل القيادة المصرية وأوضاعها الداخلية تحليلا صحيحا، وألقى الضوء على أنه كيف ابتعدت مصر عن الاتجاه السوفيتي غير أنها في زمن عبد الناصر كانت منقطعة عن الغرب وميالة إلى الأسلحة السوفياتية وكانت سياسة الرؤساء الثلاثة سياسة قمع المعارضة وسجن أعضائها وكانت الحرية تكون ملائمة ما دامت خالية من الضرر للدولة، إذا خرجت الحرية السياسية عن احاطتها المحدودة. وانتقدت الدولة تصبح عدوا لها وأما الدولة فلا تعفو عدوها.

ورواية ذات تمثل الحوادث السياسية التي وقعت في مصر سواء هو حادث تقدم الجيش المصري في "سيناء" والانسحاب الدرامي الذي قام الناصر، أو هو ذكر أم كلثوم وعبد الحليم الحافظ أو هو الحديث عن الاعتداء الحكومي على الفرد والجماعة.

انتقد صنع الله إبراهيم على طريق غير مباشر سياسة الرقابة الثقافية من قبل الدولة على الكتاب والأدب، ويتضح من هذه الرواية أنه كان هناك الرقابة والإشراف على الكتابة وليس الكاتب حرا أن يقدم أمام الناس ما يختلج في ذهنه من الأفكار والمشاعر مثلا يقول صنع الله إبراهيم " تمنعنا ظروف النشر الراهنة من التعرض بالتفصيل لواحدة من أخطر اللحظات في حياة كل من ذات وعبد المجيد لهذا سنتركهما بعض الوقت"[45]

وفي موضع آخر : "الأيام الحزينة التي تبين فيها أن الجيش المصري لا يتقدم في سينا شرقا وشمالا وإنما جنوبا وغربا الانسحاب الدرامي الذي قام به عبد الناصر ومن بعده فريد الأطرش وأم كلثوم عبد الحليم حافظ"[46]

ويشير هكذا ما عدا ذلك من الصراعات للحصول على القوة السياسية في مصر حيث من المعلوم أن هذا الصراع مستمر منذ الزمن القديم، يبذل الإنسان كل مجهوداته لنيل هذه القوة ولا يخلو أي مجتمع من هذه الخاصة، وصنع الله إبراهيم يتناول هذا الموضوع بكل جمال واتقان ، ويتكشف عن صراع الهيمنة القائمة في سياسة مصر وسياسة الاعتداء والبغي على الخصم السياسي بكل طريق ممكن سواء هو التنظيم السري الذي شكله جمال عبد الناصر في السنوات الأخيرة قبل وفاته أو المحاولات للحصول على احتلال جميع الآليات احتلالا تماما، وعلى غرار ذلك يخبر صنع الله بالصراع الذي وقع بين السادات وأعوان عبد الناصر بعد وفاته، وذلك كله حصل من أجل تحقيق القوة السياسية.

ونشاهد نفس المصارعة في المجال الاجتماعي ايضا، والسباق القائم بين إنسانين سواء يدرك الإنسان هذا السباق أم لا، ولكنه لا يزال في سباق مع الآخرين والمجتمع المصري في رواية "ذات" يعاني من هذه الخاصة حيث نشاهدها كثيرا ما في شخصيات هذه الرواية

[45] ذات، ص 16

[46] ذات، ص 17

والسبب خلف ذلك أن المجتمع المصري بعد ثورة 1952م كان يمر بالتقلبات الجذرية وبدأت تخرج من صعوبات الحياة اليومية، وبدأت تتمتع الحياة السهلة وكذلك بالتكنولوجيا الجديدة والآلات الحديثة. مثلا "غسيل الملابس، لم يعد مشكلة بفضل "الاومو" قليل منه في طبق ماء من البلاستيك ويقلت حتى يصنع رغوة كبيرة ثم تلقى الواحدة فيه بالقميص أو البلوزة وتنصرف لعمل الشاؤ او الطبيخ وبعد ذلك دعكة أو دعكتين ولا حاجة إلى هري الأصابع والغسالة"[47]

"على جانب الاومو كانت هناك أصابع مزيل العرق وحبوب منع الحمل بالطبع وأخيرا الثالوث المقدم الذي لم يعد من الممكن أن يستغني عنه المنزل العصري والذي جعله عبد الناصر في تناول الجميع: صخان وبوتاجاز المصانع الحرية وثلاجة إيديال هكذا وصلنا إلى بين القصيد العيش"[48] (12 صفحة ذات)

وهاتان الفقرتان تمثلان تمثيلا واضحا التغيرات التي تحدث في المجتمع المصري هكذا نفهم من خلال هذه الرواية النفسيات الإنسانية التي حللها صنع الله إبراهيم بكل دقة وعمق بالغ ويلقي الضوء على أنه كيف يتأثر الإنسان بالإيجابيات والسلبيات الحياتية كيف يغرق سريعا في الفرح والسرور إذا مسها خير وكيف يغيب هذا الفرح إذا أصابه شيء من الشر، وإذا امعناالنظر في الرواية نجد أن شخصياتها لا تطمئن إلا قليلا وهذا من الحقيقة الأرضية أن الإنسان لايستقر في الحياة وكل مجتمع يعاني من هذا. وفي كل وقت يريد الإنسان المزيد في كل شيء مثلا إذا يملك بيتا يشتهي أن يحصل على أكبر من ذلك ويقول صنع الله:

[47] ذات ، ص 13

[48] ذات ، ص 12

"فالشقة الوحيدة المتاحة كانت في الطابق الرابع ولا تطل على مدخل العمارة هذه الخاصية الأخيرة دفعت بالدموع إلى عيني ذات إذ داهمهما يقين بأنها قد حرمت إلى الأبد ن الاطلال على وجه الدنيا"[49] يتضح من هذه الفقرة اضطراب ذات وعدم رضاها وهذه الرواية مليئة بمثل هذه الحقائق النفسية حتى نجد أن صنع الله إبراهيم لم يتجنب من انتقاد التقاليد والعادات القبيحة التي توجد في الناس وبهذا الصدد يسخر صنع الله إبراهيم على عادات المصريين والتقاليد غير الأخلاقية مثلا يقول في موضع: ففي أحد الأطراف حتى مصر الجديدة على مسافة متساوية من منزلة أهله في العباسية ومنزل أهلها في الزيتون وفي شارع داخلي قريب من خط المترو الذي كان ما يزال مفخرة الحي الانتظام والنظافة لقر العهد بالوجود الاجنبي، قبل أن عليه المصريون الأصلاء طابعهم القوي الصميم فتنوء عرباته بوطاة الوحام وتختفي قضبانه أسفل أكوام القمامة"[50]

هذا هجاء عنيف ، وتوبيخ شديد كما يتضح من الألفاظ التي استعملت في الفقرة مثل "الأصلاء" "الصميم" "وطابع" ويعد هذا من أكبر الأمراض في العالم الثالث بانضمام مصر. وإذا لا أريد أن نغير عادتنا فكيف يمكن لنا أن نحول مسيرة حياتنا فيصور صنع الله في الرواية المجتمع المصري التقليدي الذي لا يريد أن يودع ماضيه وعاتده القديمة ومزاجه القائم سواء تلك التقاليد ايجابية أو سلبية، من خلال انتقاد هذه التقاليد يقوم صنع الله إبراهيم بتوبيخ الهيمنة الرجولية والفكرة التي تحرم النساء من التعليم ومن تحقيق أحلامهن ومن المعلوم أن تعليم المرأة أصبح من الزمن القديم قضية صعبة في المجتمعات الكثيرة، والموضوع الذي يتكلم عنه كثير من الأدباء والشعراء والمثقفين لكن لم يحل حتى الآن ومليون من البنات في البلدان المختلفة تحرم من هذا الحق الذي اعطاهن الإسلام

[49] ذات ، ص 20

[50] ذات ، ص 14

ونفس الشيئ نلاحظ في هذه الرواية حيث أن التعليم شيء لا يليق للنساء ولا يفيده بل بدلا من ذلك يفسد مزاجهن ويشوه طبيعتهن ونلاحظ أن نفس الفكر تحكم المجتمع المصري وفي نتيجة ذلك تعاني البنات من الصعوبات الكثيرة في الحصول على التعليم الضروري الابتدائي فضلا عن الماجستير والدكتوراه والدراسات العالية. فلننظر على هذه الفقرة التالية: "ففي زمان بركة البط في حديقة الميرلاند أعلنت ذات التي كانت تستعد للمرة الثانية لامتحان أول سنة في كلية الإعلام أنها تنوي مواصلة الدراسة لتعمل بعد التخرج في إحدى الصحف أو إذا ما أسعدها الحظ في التلفزيون". "اصطدم إعلان النوايا الثاني بالرفض القاطع من جانب عبد المجيد الذي قد نجح لتوه في عدم التقدم لامتحان التخرج من كليته وأعلن بلهجته الحاسمة وهو يصوب إليها نظرة صارمة ذكرتها أبيها فألحتها أن البيت سيحتاج إلى كل وقتها خصوصا بعد أن تبدأ عملها فضلا عن أنها قادرة على تلبية كل احتياجاتهما من الآن فما بالك بعد أن يحصل على الليسانس الموعود"[51]

هذه الفقرة تلقى الضوء على الهيمنة الرجولية التي تحرم النساء من حقوقهن وتبعدهن من الأشياء الأساسية التي لا مفر منها ويصور كيف يرسم الرجال الحدود غير الضرورية وكيف يحكم حياة النساء.

في رواية ذات يعّري صنع الله الطبقة الحاكمة في مصر، ويكشف عن تورطها في عمليات سلب ثروات الشعب المصري سواء عن طريق المسؤولين الكبار أو عن طريق المؤسسات التي تلاعبت بمصائر الناس البسطاء ويشير إلى السياسة الامريكية المستغلة للعالم الثالث ودور حكام مصر واستسلامهم أمام القوي الغربية وكيف استعملت الدول الخليج ضد الروس السوفيتي ويتحدث عن دور الشركات المتعددة الجنسيات التي جلبت الضرر أكثر بكثير من النفع للدول النامية حتي اضطرت هذه الدول إلى أن يلجئوا إلى البلدان المتقدمة في كل

[51] ذات ، ص 13

شيء جديد، وهذا هو السبب أن البحث والتحقيق والاكتشاف والاختراع وكل شيئ من هذا النوع تعدم في الدول النامية ويجعلنا صنع الله إبراهيم مطلعين علي سياسة الاستعمار القديمة مثلا اذا لاحظنا هذه الفقرة "جريدة واشنطن بوست:مجلس الامن القومي الامريكي وضع خطة علي أساس إن تهاجم مصر وليبيا وتستولي علي نصف مساحتها بدعم أمريكي وتستخدم ذلك في الاطاحة بالقذافي."[52]

وهذه الاستراتجية بدأت الولايات المتحدة بعد الهزيمة في حرب فيتنام عندما قتل الآلاف من الجنديين الامريكيين في المعركة المباشرة في فيتنام وبعد ذلك أخذت الولايات المتحدة طريقة مختلفة تماما غيرت سياستها الحربية إلى انشاء الصراع بين دولتين بحيث يدعم احداهما ضد أخري.

ويقدم صنع الله إبراهيم شخصيات ذات(الرواية) في شكل عجيب مدهش فريد مثلا "ماكينات عاكفة على مضغ الفول والمخلل ثم ابتلاع الشاى " أو "ماكينات بث" فى الغرف المكتظة بالمكاتب التى تعلوها الأتربة وتتناثر فيها الجرائد والمجلات فى اهمال. ونمضى فى رحلة كابوسية مع شخصيات الرواية وهى تحاول جاهدة إن تتماسك وأن تصمد أمام التغيرات المخيفة التى تحصل فى المجتمع . وذات تجرى من مستشفى إلى آخر ، مرة لتعالج ورما سرطانيا فى ثديها، ومرة لعلاج طفلها الذى ولد وهو يعانى من مشكلة فى النطق . وفى ظل المناخ السائد واعلانات التليفزيون وأسماء السلع والمحلات الجديدة ذات الأسماء الأجنبية فى أكثر الأحوال لم يكن غريبا أن يخطو الطفل خطواته الابتدئية نحو الشفاء بالنطق بالأنجليزية قبل أن يتكلم بالعربية.

[52] ذات ، ص 73

الفصل الثاني

القضايا النسوية

القضايا النسوية

إن دور المرأة في أي مجتمع دور أساسي في نمو المجتمعات ونهضتها، لكونها المربية الأولى للأجيال، وتمتلك سلاح التأثير القوي وهو غريزة الأمومة، وتأكيدًا لدورها وفضائلها فقد حفظ الإسلام للمرأة كل حقوقها، وكان لها دورها الفعال في عهود التاريخ المختلفة والواقع أن حقوق المرأة مهضومة في مجتمعنا، فهي تفتقد الاهتمام ولا تمنح الفرصة لترتقى بنفسها وبفكرها، وتكون الضحية في المقام الأول الأجيال المتلاحقة، ولذا نناشد الآباء بإعطاء الفرصة التعليمية الكاملة لهن، والاهتمام بهن ليس من أجل الحاضر، بل من أجل المستقبل والأجيال القادمة.

المرأة فى الطبقة المتوسطة وهى التى تتمسك بالتقاليد الاجتماعية والقيم الأخلاقية والثقافية، لأن الطبقة المتوسطة تتسم دائما بالمحافظة على القيم والتمسك بالتقاليد . ولقد أولى صنع الله إبراهيم المرأة فى الطبقة الوسطى عناية خاصة عرض لها - فى رواية ذات فهى تسعى لراحة زوجها بتفان كل ليلة، ويلقي الضوء علي صورة المرأة فى النصف الثانى من نفس القرن . ثم يقدم صور جديدة لامرأة الطبقة الوسطى بعد ثورة يوليو وخاصة بعد أن حصلت المرأة على الحقوق السياسية عام الانتخاب وحق الترشيح وعينت فى المناصب الوزارية، وينعكس ذلك فى شخصيات صنع الله إبراهيم النسائية فأصبحنا نجد الفتاة الجامعية والمؤظفة.

المرأة في الرواية العربية تحتل مساحة كبيرة ومؤثرة، وتمثل أحياناً الدافع الأقوى لدى السارد كي يمارس فعلها، ويخلط لمنظورها الحكائي الذي يسعى إلى إيجاده؛ ولذلك فإن التعرف إلى طبيعة وجودها أساس مهم من الأسس الموضوعية والفنية في الحكاية، ولا تخلو الإشكالية من عملية موازاة فنية تحدث بين طبيعة هذا الوجود، والعالم الخارجي والداخلي

الذي تمثله الحكاية بشكل عام، وتمثله كل شخصية أو فعل ينتمي إلى هذه الشخصية بشكل خاص، هذه الموازاة تكمن في طبقة الحكاية، ثم تتضح في طبيعة الأحداث والشخصيات، وتقدم آلياتها خلال مجموعة الإمكانيات السردية التي تتحدد في النص، حول هذه الإشكاليات كان هذا الاستطلاع «لمجلة الرافد» الذي يرصد هذه الظاهرة الأدبية في الرواية العربية.

إن الإنجاز الإبداعي الذي ترافق ظهوره بصورة متزامنة، مع توجه المرأة الواسع في ميادين العمل.. وبدأت تحقق مع خلال الأخير شيئاً من حريتها الفكرية والاقتصادية على حد سواء، وأصبحت قادرة بالتالي على التعبير عن ذاتها فعلياً وليس قصراً على التعبير الإبداعي بالرغم من تلك المؤشرات المعاكسة التي توضح الجمود الحركي والوظيفي الخاص بها وتتصدى له إن النظرة إلى المرأة من الشق العشقي المجرد يعطل دور المرأة فيما بعد سن اليأس، وهو السن الذي تكون أحوج ما تكون فيه إلى العناية، سواء في الحياة الحقيقية، أم في حياة النص الأدبي.

المرأة عنصر بارز من عناصر الخطاب الروائي, ولشخصية المرأة حضور مميز في العمل الروائي, والرواية بعامة رجل وامرأة, وفن الرواية هو فن الحوار, فن العلاقات البشرية بين الرجل والمرأة, مع الطبيعة والأشياء عبر الخيال الذي يستمد مقوماته من تجارب الحياة... وفي الرواية العربية هناك من صور المرأة المتناقضة مع واقعها, وهناك من صور المرأة المستقيمة, صور الخصائص الجوهرية التي تحمل معاني حضور المرأة الإنساني وتفردها الأنثوي , وبنية الرواية تقوم على هذا الحضور, فالمرأة ذات معطيات جمالية واجتماعية, كما نشاهد في رواية ذات جليا، لذا فهي تمد الكاتب بمادة غزيرة... وعبرت الروايات العربية في السنوات العشر الأخيرة عن تجربة مواجهة الغرب بقيمة المغايرة وطرائق العيش والتفكير، عبرت عن التحولات الحاصلة في الساحة الاجتماعية العربية,،وانعكاساتها على الوعي,

جاءت صورة المرأة فيها لتفصح عن توقها إلى الحرية والتحرر وفق الأنموذج الغربي أحياناً ، وفي الأحيان الأخرى نجد لها تعلقاً بروحانية غائمة السمات , منحدرة من روح الشرق...فكانت رواياته تحاول أن تضع قدماً على الضفة العربية وقدماً أخرى على الضفة الغربية.

المرأة من الطبقة الفقيرة هى التى اقترنت صورتها فى الروايات العربية الأخري باحتراف البغاء وتجارة الجسد وإن استقر ذلك أحياناً تحت اسم الفن رقصاً وغناءً، وهو ما عرف بدنيا العوالم وكذلك تقترن صورة المرأة الفقيرة بالخدمة فى بيوت الأغنياء . ثم حدث تغير لهذه الصورة بعد ثورة يوليو 1952م نتيجة لما أتاحته الثورة من امتيازات للمرأة فقدم صنع الله إبراهيم صورة بطلته فى رواية ذات والتى تحاول أن تنتشل من الفقر لذا تسرع فى التعليم لكى لا تظل متخلفة. وفي صورة أخرى قدمها للمرأة فى ظل الانفتاح الاقتصادى . رصد صنع الله إبراهيم التغيرات الاجتماعية فى النصف الثانى من القرن العشرين من خلال البطلة الجديدة الذى تعيش الحياة المليئة بالأحلام والأهداف وتواجه العالم، ويعكس صنع الله فى هذه المرحلة بقدر واضح أزمة المثقفين فى فترة مهمة ومؤثرة فى تاريخ المجتمع المصرى، وهى فترة مابعد ثورة يوليو والفترة اللاحقة لها والتى عرفت بمرحلة التحول الاشتراكى من خلال شخصيات عادية فى المجتمع.

يقول سامح المحاريق:

> "(ذات) أنثى برجوازية ذكية وواعية برغم محدودية مواهبها وقلة اختياراتها, ولكنها قبل ذلك كائن إنساني يشكل حواره الذاتي الداخلي والمستمر على امتداد صفحات رواية (ذات) لصنع الله إبراهيم، العملية التي تتناول المداخلات - الظروف والأحداث الاجتماعية في الفصول التسجيلية من الرواية - لصوغ المخرجات والتي تظهر في المواقف والقرارات التي تتخذها ذات المرأة والأم

والأنثى التي لا تنساق للخطيئة التي طرحت نفسها كحل لمجاراة تزايد الاحتياجات مقابل ضعف الامكانيات إلا لأنها رأت أن الضرر أكبر من المنفعة كامرأة متزوجة وليس لدوافع أخلاقية مبدئية، لكن هذا الطريق ذا الشهرة العالمية (في بلاد القمامة الثمين على الأقل) كان مغلقا في وجه (ذات) لاعتبارات عديدة، يتعلق بعضها بالاقتصاد وقوانينه (مثل قانون العرض والطلب)، ويتصل البعض الآخر بالخوف الغريزي الذي أثارته تجربة مدام سهير ساكنة الشقة المفروشة."[53]

قدم صنع الله إبراهيم صورة تلك المرأة النموذجة التي تدخل في معارك صغيرة ليعبر من خلالها عن ذاته تنفيسا عن الإحباط الذي يعيش فيه. فقد كانت ذات دائما في الألم المباغت، هذا الذي ينتزعك من وسط الفرحة البسيطة، ينقض عليك من دون فهم منك. منذ الوقت الذي نادتها أمها وهي بنت البالغة من عمرها تسع سنوات لتنتزعها من فرحتها بمشاهدة الجهاز الرهيب، التلفزيون، وتأخذها لقصة سوداء تشبه ملابس هذه السيدة القاسية التي انقضت عليها صرخت ذات تتوسل أمها التي تمسك بذراعها لكن صراخها لم يسعفها.

هو الإحساس نفسه تكرر حين انهال عليها أبوها ضرباً وهي تصرخ «أنا عملت إيه يا بابا؟». لم تكن القصة في أنها تتعرّض للضرب المبرح من أبيها للمرة الأولى، ولا أن أمها تخلّت عن مساندتها ودفعت أبيها لأن يسير وراء شيطان غضبه ـ قبل أن يستفيق هو نفسه ـ ويحرمها من المدرسة «علشان تتربّى لكن تمرّ الحياة عادية، بكل ما في الكلمة من حلاوة ومرارة. تعيش ذات وتكبر وفق نواميس التكيّف، تفرح من دون أن تعرف حقاً حلاوة الفرح، تحزن من دون إن تعرف جلال الحزن لكنها رغم الحرمان والفشل الظاهري تبدو ذات إنسانة قوية عظيمة."[54]

---

[53] ، سامح المحاريق ،صورة المرأة في تراث الرواية العربية ، مجلة"الحوار المتمدن" ، العدد١٣٣٥،

[54] ذات ، صفحة ١٢٧

الفصل الثالث:

الأوضاع السياسية

الأوضاع السياسية

الأدب السياسى هو الأدب الذي ينشأ العلاقة بين المجتمع والدولة وبين الحاكم والمحكوم ويتخذ ذلك موضوعًا له، مع التأكيد على أن هذه العلاقة تتجلى فى موضوعات مختلفة، تشتبك بالواقع السياسى مثل: القضايا التى تتعلق بالفساد الاداري والممارسات الحزبية، وحقوق المواطنة والحق فى العمل، وغير ذلك من الموضوعات التى تدخل فى صميم العلاقة بين الإدارة السياسية للدولة والمواطن، لذلك فإن الحاجة للأدب السياسى، ليست ملحة بوصفها فنًا أدبيًا، بقدر ماهى قناة مضافة للتعبير عن الرأى فى نمط العلاقة بين الحاكم والمحكوم. كما يمكن تحديده فى أطر فنية بسيطة بل أن الأدب السياسى لا بد أن يتخلص من تقنيات الأقنعة مثل: الرمز والإسقاط، ليكون أقرب إلى المباشرة. وتعتبر السخرية والكشف عن المفارقات اللاذعة ضرورات فنية تستهدف القارئ وتحريضه. بهذا المعنى، فإن الأدب السياسى يحدد ملامحه ويعرف نفسه على نحو مستقل، ومختلف عما هو فى بلدان لم تحظَ بنصيب مناسب من الديموقراطية، كما يحدد وظيفته على نحو واضح: إنها استهداف الجمهور وتحريكه، بمعنى أنه يتجاوز التحفيز واستنهاض الوعى إلى التحريك لحيز الفعل.. إنه أدب تحريضى بكل مواصفات الدعاية والتحريض وتتناول الرواية قضية الهجرة إلى الدول الاخري ولقد اصبحت السياسة محورا فكريا في الرواية المعاصرة ، مهما تنوعت مواضيعها، وتعددت ابعادها الاجتماعية والواقعية، وجنحت على الحداثة الشكلية والتنويع الفني فإن الرواية تعبر عن الأطروحة السياسية إما بطريقة مباشرة او غير مباشرة يقول الدكتور جميل حمداوي:

"إن السياسة حاضرة في كل الخطابات والفنون والأجناس الأدبية. وتتمظهر بجلاء ووضوح في فن الرواية التي تعكس نثرية الواقع وصراع الذات مع الموضوع والصراع الطبقي والسياسي والتفاوت الاجتماعي وتناحر العقائد والإيديولوجيات والتركيز على الرهان السياسي من خلال نقد الواقع السائد واستشراف الممكن السياسي. وتستند الرواية السياسية إلى بلاغة الإقناع والدعاية والتحريض والالتزام وتبليغ الأطروحة المقصودة بشتى الوسائل لحصول الغاية وتبررها وتعضدها. كما تنبني على بلاغة التكرار لتحريك الشعور السياسي والغيام الثقافي. وتلتجىء هذه الرواية على السرد التفصيلي والحوار التسجيلي والمنحى الواقعي لتسجيل المعطى وتهويله وتصويره سلبيا أو ايجابيا. وتشحن الرواية ذات الأطروحة السياسية بتعاليم تنزع على توضيح حقيقة عقائدية وسياسية. وتصبح هذه التعاليم العقائدية السياسية بؤرة تعكس مفهوم الأطروحة في الرواية."[55]

صنع الله إبراهيم فى كثير من الأعمال الأدبية يعكس أزمة المواطن العربى واغترابه، وقد جسدت أعماله هذا المعنى كما نجد فى ذات وإن المفهوم الذى يطرحه صنع الله إبراهيم يبدو أكثر رحابة واتساعًا، بحيث يجعل الرواية فضاء قادرًا على استيعاب الخطاب السياسى فى مستوياته المختلفة و المباشرة والفنية، وبهذا المعنى يقبل أساليب أدبية مختلفة، سواء قامت على أدوات رؤيوية وتحليلية أو انفعالية غنائية أو خطابية تحريضية. وعليه، فإن الباحث، فى معرض بحثه عن الأدب السياسى، لا يستقصى أنماط النوع الأدبى، إنما يستقصى أنماط الخطاب فى العمل الأدبى، بحيث يمكننا التعرف على المعنى السياسى فى الرواية حتى لو لم يكن متمركزاً فى بؤرة السرد بوصفه موضوعًاويظهر موضوع العلاقة بين الشرق والغرب على خلفية إمبريالية تعكس ممارسات العدوان، وتفضح أطماع الغرب وأساليبه العديدة فى الاستحواذ على مقدرات الشعوب، ومن ناحية أخرى تبين درجات الوعى والقدرة على مقاومة أشكال الهيمنة كما يتجلي في العبارة التالية:

---

[55] د. جميل حمداوي ، الرواية السياسية والتخييل السياسي، مجلة دنيا الوطن،٢٠٠٣\٠٣\١٩

"المشير أبو غزالة : الجندي الأمريكي يتكلف ١٥٠ ألف دولار في السنة اذا جاء اي المنطقة أما الجندي المصري فيتكلف ١٢٠٠ دولار فقط في النة أي أقل من ١ في المائة من تكاليف الجندي الأمريكي"[56]

يعتقد صنع الله إبراهيم بالأدب الذي يقيم العلاقة بين الفرد والمجتمع ويحلم بأن يكون الشعب واعيا وذا حساسة سياسية وهو النمط الأكثر شيوعًا والأكثر تعددًا ويتجلي ذلك في الصفحة تلو الصفحة والجمل بعد الجمل و فى زوايا النظر وفقًا لأيديلوجيا النص، كأن يعكس صراع طبقات المجتمع وطوائفه، وهيمنة رأس المال وانتشار الفساد فى مؤسسات الدولة، وهذا النمط يتجلى لاسيما فى رواية ذات على نحو بازغ، ويتداخل فى مفاصلها كافة، بحيث لا يمكن الفصل بين ما هو سياسى وما هو اجتماعى. بما يشير إلى تعقد الموضوع السياسى فى الواقع العربى واشتباكه بمفردات الحياة اليومية للإنسان المصري كما نري في هذه الفقرة:

"الولايات المتحدة تجمد ١٥٠ مليون دولار من المعونة الاضافية التي كانت قدمتها إلى مصر وتطالب بأقساط فوائد الديون"[57]

الرواية مليئة بمثل هذه العبارات ومثل هذه السياسة مشيرة إلى الهيمنة الخارجية والتدخل الأجنبي فلنلاحظ نموذجا آخر:

"خبير اقتصادي : المعونة الأمريكية ليست غير قروض للشركات المصرية كي تشتري بها منتجات أمريكية"[58]

وقد ظهر نمط العلاقة بين الأمة والاستعمار على نحو واسع فى رواية صنع الله إبراهيم،

---

[56] ذات ، ص ٧٣

[57] ذات ، ص ٧٦

[58] ذات ، ص ٧٦

لكنه لا يستخدم التاريخ بوصفه قناعًا يختفى خلفه ليسقطه على الحاضر، بل بوصفه نموذجًا مضيئًا يحظى بسبق الاحترام لدى القارئ، إنه يعالج نمط العلاقة بين الأمة والاستعمار، يعرف جيدًا مزاج النوستالجيا العربية، وتقديرها للماضى الذى يرقى إلى القداسة، بما يعجل القارئ مؤهلاً لاستقبال رسائل النص، التى تستهدف إيقاظ الوعى القومى، وتستعيد صور البطولات وحكايات المقاومة الشعبية ويزيل الغلاف من السياسة الأمريكية المستغلة تجاه العالم الثالث ودور حكام الدول العربية وعلى الرغم من مستويات المباشرة والكشف الفاضح لنظام الاستبداد السلطوى، وفساده المنهجي على الأصعدة كافة، فإن الكاتب، لم يتردد فى استخدام تقنيات سردية قديمة شاعت فى الرواية السياسية، ولعل أبرز هذه التقنيات شيوعًا هو الرمز والإسقاط. وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذه التقنيات القديمة رغم شيوعها، مازالت قادرة على إضافة لمسات جمالية للعمل الأدبى ويقول صنع الله:

"الانجليز تركوا خلفهم الاقطاعين والرأسماليين و٤٦ سنوات أخري أغلبها في السجون ، لكن صفية اعترضت التسلسل الزمني بتعلية التليفزيون ليسمعوا نشرة الأخبار ."[59]

الواقع والعبث الذى يعجز أفراده عن عمل شىء لتغييره ، ومن ثم يتحولون إلى كائنات تبدو منعزلة عن هذا الواقع لكنها فى الحقيقة نتيجة طبيعية له. هذا الأنفصال المادى جسده المؤلف ببراعة فى التكنيك الذى ابتدعه لشكل الرواية بتقسيمها إلى فصول سردية تتناول الحياة اليومية لشخصيات الرواية وفصول تقريرية تصور ببراعة الخلفية والظروف والعوامل الأجتماعية التى أفرزت هذه الشخصيات. ولذلك فلا مبالغة فى القول بأن ذات هى رواية كابوسية ، صعبة ومرهقة ، ولا شك أنها أرهقت كاتبها الذى اعتصر فيها كل معانى الأحباط والمرارة والأذى والظلم الأجتماعى الذى تصوره الرواية ، وهى المعانى التى تنتقل

[59] ذات ، ص ١١٢

بقوة وصدق إلى وجدان القارئ ، وتجعل من"ذات" عملاً كلاسيكيا يضاف إلى روائع صنع الله إبراهيم ، واضافة جديدة إلى فن الرواية العربية بوجه عام.

الباب الرابع:

صنع الله إبراهيم في مرآة النقد

الفصل الأول:

أسلوب رواية ذات

يتميز الروائي المصري الكبير صنع الله إبراهيم بأسلوبه التوثيقي الصارم الذي ينعت نموذجا تقنيا و لغويا متفردا يجعلك تتعرف على كتابه منذ السطور الأولى فيقوم بدور المصور المحترف عندما يتحول القلم في يده إلى كاميرا صغيرة تبرع في انتاج لقطات مركزية مركبة على مسافات متساوية يندر أن تهتز أو تغيم أو تخرج عن نمطها الذي يخرج شريطا متعاقبا شديد الدقة في ترتيب التفاصيل و تلوين الأحاديث و ضبط الإشارات الإيدولوجية والحيوية والمتكررة ، بايقاع موزون يختفي أولاً بالجسد وحاجاته الغريزية في إطار حسي صريح بينما تأتي الحكايات والحوادث و شبكة العلاقات القصيرة المدى لتصنع خلفية متواضعة مع المشهد الحسي العارم.

يعد صنع الله إبراهيم من الروائيين الذين يربطون الرواية بالسياسة ويستمدون من الحوار والمحادثات بين الطرفين معنى قريبا من الحقيقة، مؤكدا أن المتخيل الروائي مزيج من النقد والمعرفة دفع هذا المزيج المتوازن حينا و المختل المتوازن حينا آخر إلى توثيق له شكل العادة يستشير الصحف و المجلات و قد يأخذ من الكتب مقاطع طويلة.

يتمتع صنع الله إبراهيم بحس روائي متميز في الكتابة لا تستطيع إلا أن تتابع معه حتى النهاية آكلا كلمات الرواية بتلذذ ، ويعد صنع الله إبراهيم ظاهرة أدبية تستحق الإعجاب، ولفت بها انتباه عدد كبير من كتاب القصة والرواية في مصر والعالم العربي، أعماله لفتت كذلك أنظار النقاد فحفلت الصحافة بكتاباتهم حولها وقراءتهم له.

صنع الله إبراهيم استطاع أن يحقق توازنا خصبا بين التشكيل الفني و الدلالة الاجتماعية و الفكرية كما أنه من أبرز الروائيين الذين كسروا قالب الواقع التقليدي وخلصوا لغة الرواية من الترهل و اللفظية الفضفاضة، إضافة إلى حرصه على تجديد الشكل و التعبير عن المتغيرات المجتمعية من خلال ملاحقة التغيرات المادية والثقافية وجعلها عنصرا في

التشخيص الروائي.

و من هذا المنظور فإن أعمال صنع الله إبراهيم تتيح قراءة الجوانب المختلفة من تطور الشكل الروائي في تحققه العربي الحديث كما تسمع بقراءة صراعات المجتمع المصري في سبيل دعم قيم التقدم و الوعي النقدي كما أن أعماله مما تميزت به من حرص على التجديد و تنوع مستويات السرد و تعدد اللغات المتحاورة أداة معرفة و مجابهة للأسئلة الراهنة وهو روائي كبير غزير الانتاج متنوع ومتصادم دائما مع قارئه هو من القلائل في مصرالآن المتفرغين فقط للكتابة و يكتب كتابة حادة تتحدى التابوهات الاجتماعية خاصة السياسة والجنس يأخذ دائما مواقف جدية فهو لم يقبل الثدجين يبحت عن توازن مؤثر بين الشكل الفني والدلالة الاجتماعية ."وأساس الرواية ذات الشكل الوثائقي يكمن في الفضاء التاريخي ـ لا يقتصر الفضاء على المكان ـ هذا الفضاء الذي يستعيره الروائي ويُعيد تأويله وفق وجهة نظره ـ أو التشكيك في صحته ـ بحيث يصوغ حكايته ويوحي بدلالاتها المختلفة والمعقدة وفق هذا السياق أو البناء الجديد الذي يؤكد من خلاله رؤيته الخاصة. وهنا يصبح البناء متفرداً بذاته وخيالياً تماماً، بحيث أصبح ما يستند إليه ـ على اعتباره وقائع ـ يصبح داخل النص مبنى مُتخيّل بالكامل تؤكده عمليات الانتقاء المستمرة التي يقوم بها الروائي من الوقائع والوثائق المتاحة، هذه الحرية في التعامل مع الوثيقة، هي التي تعيد صياغتها في شكلها المتخيل الجديد. إضافة إلى أن الوثيقة في شكلها التاريخي ممسوسة بالخيال تعتبر تجربة الروائي (صنع الله إبراهيم 1937م) من التجارب اللافتة في الرواية العربية منذ أولى نصوصه المعنونة بـ (تلك الرائحة 1966م)، حيث ينتبه إلى خلق توثيق لحالة أو جو عام كانت تعيشه مصر في ذلك الوقت، ولم يقلل منه سرد تجربة الروائي الذاتية، بعد فترة خروجه من السجن. هذا الأمر الذي اتضح أكثر وصار شكلاً مُلازماً لمعظم أعمال صنع الله إبراهيم، والذي تجلى في كل من روايات ... نجمة أغسطس، بيروت

بيروت، ذات، وردة ـ كتب في مقدمتها .. من الأفضل أن تُقرأ على أنها رواية ـ مروراً برواية شرف والعمامة والقبعة، وغيرها، رغم تباين مستوى هذه الأعمال من الناحية الفنية"[60]

وملأ الحياة الأدبية صخبا و هو يعد موثقا للتاريخي من خلال الأدب و يمتلك صراحة أدبية لا يمتلكها الكثيرون و لديه أسلوب بلاغي يميزه عن غيره والخيط الذي يلتزم به صنع الله إبراهيم في كتاباته أنه مناوي للإمبراطورية والسلطة في أحد أشكالها التعسفية و هو ما عرضه لتجربة الاعتقال من عام 1959م و حتى عام 1964م.

يتميز صنع الله إبراهيم بغزارة الانتاج و تنوع كتاباته التي تجمع بين السير الذاتي والتوثيق التاريخي و النقد الاجتماعي لظهور و أنظمة خاصة النظام الرأسمالي و يتناول قضية الحرية والعدالة و مع الأسف فهي عائبة من ثمة يأتي الإلحاح في تناولها في أعماله كما لايقدم في رواياته التاريخ الرسمي الذي تمتلئ صفحات الكتب.

يتميز أسلوب صنع الله إبراهيم بالعديد من الميزات التي تزين الكتابة و تحسنها ، صنع الله إبراهيم يعرض كل هذه السمات في عمله الأدبي الشهير " ذات " و يقدم أمامنا نموذجا يمثل هذه الميزات كلها سواء هي التاريخية أو انتقاد الأحداث التاريخية أو وجهة النظر لإصلاح المجتمع هكذا تمتلأ " ذات " بالأسلوب الوثائقي الذي يعطي السرد مصداقية في أعين القراء بالإضافة إلى التركيز على الأسلوب الذي يتناول المجتمع من خلال السرد الساذج و سرد تجربة الروائي الذاتية ، والاقتصاد في الأسلوب . أما الأسلوب الصحفي فله أيضا مكان واسع في الرواية ذات لصنع الله إبراهيم و هذه الأسلوب يؤثر على عقلانية القارئ و ينشأ عالما منطقيا يصنع القراء إلى حد كبير، وبهدف التوثيق اعتمد صنع الله إبراهيم في رواية «ذات» على أسلوب الإيحاء وخلق المفارقات التي يجيدها،

[60] صنع الله إبراهيم أنموذجا: الأسلوب الوثائقي في السرد الروائي.. بين الواقع والحقيقة ووجهة النظر ، مجلة "الطليعة " 23/12/2005

فضلا عن خلق فضاء عام تتحرك خلاله الشخصيات، وتتناوب الفصول ما يخلق فارقاً حتى على مستوى الراوي.

الراوي العليم الذي يحكي حكاية «ذات»، والمؤلف الذي يخلق من قصاصات الصحف والوثائق المرئية ـ لقاءات تليفزيونية وما شابه ـ عالماً تدور في فلكه الشخصيات، وأكبر إنجاز صنع الله إبراهيم هو التوازن بين الروائي والواقعي بالإضافة إلى السخرية التي تلعب دورا بارزا هاما في معالجة القضايا الإنسانية بجدية و صدق.

أسلوب صنع الله إبراهيم في معظم الأوقات مباشر جدا مع أنه يتميز بالفكر الكافكوي الذي ينشأ الغموض و الالتباس حيث يجبر القراء على استخدام الذهن بكل تركيز لكي يصل إلى الفكرة الصحفية في العبارة.

صنع الله إبراهيم يحب الحرية في الأسلوب و لذا يقول إنه حر في أعماله لكن هذه الحرية قد يجلب فحش الكلام الذي يغضب بعض النقاد.

الواقعية:

الواقعية هي التيار الأبرز الذي حمل لواءه اليساريون من الكتاب العرب ، و الواقعية العربية تعود إلى زمن ثورة المصرية التي أحدثت ميلا واقعيا في كتابات الكتاب والشعراء الذين ارتبطوا بالمدرسة الحديثة مثل محمد تيمور الذي قام بالمزج بين التيار الواقعي والنزعة الرومانسية المتأصلة. ثم جاء طه حسين الذي ناقش الشيوعية و تحدث عن الوجودية في أبعادها النضالية ، لكن الكتابين العظيمين " في الثقافة المصرية " و " من أجل أدب واقعي " هما تناولا الواقعية بكل إتقان و دقة.

الواقعية مذهب فلسفي يجعل للواقع المادي المحسوس الاعتبار الأول ، ويطلق خاصة في

القرون الوسطى على المذهب الذي يرى أن الكليات لها وجود حقيقي ومذهب أدبي يعتمد على الوقائع والوثائق ، ويعنى بتصوير أحوال الطبقة الكادحة من المجتمع.

أما الخمسينات و الستينات فشهدت ازدهارا عظيما للحركة القومية والحركة اليسارية مما أدى إلى نشأة الواقعية و ازدهارها في العالم العربي من خلال المجلات والصحف و جيل نجيب محفوظ يعد على رأس النزعة الواقعية في الأدب العربي . وعرضت الواقعية ازدهارا كبيرا في الخمسينات والستينات من القرن الماضي تبعا لازدهار الحركة القومية واليسار بوجه عام و بات للأدب الواقعي رموزه و منابره و مجلاته ففي العراق كان من رموز الأدب الواقعي والداعين غائب طعمه و صلاح خالص و آخرون و في لبنان حملت مجلة " الطريق " و مجلة " الثقافة الوطنية " الدعوة إلى هذا الأدب و نشرت الكثير من نتاجه و كان من رموزه منذ الأربعينات عمر فاخوري و حسين مروة الكاتب الماركسي الناقد الأدبي الذي كتب الكثير حوله.

أما رواية ذات لصنع الله إبراهيم فهي إنجاز من إنجازات صنع الله الواقعية ، فهي تصور و واقع المجتمع المصري و اعتزاله في الوقت الذي يركز الآخرون على إنشاء التعابير الأدبية الجديدة و هو أحد القلائل الذين يستعملون مشروعهم الروائي ليلقي الضوء على الحقائق الأرضية المصرية و هو في كثير من رواياته بانضمام " ذات " اعتمد على الواقعية في معالجة القضايا المختلفة حتى إنه سلك مسلك الواقعية في اختيار بطل الرواية حيث نعلم أنها إمرأة ساذجة تعيش عيشة راضية ، و تفرح إذا أصابها شيء من الخير ، وإذا مسها الشر تقلق ، و هذه الواقعية تتمثل في الأمكنة الكثيرة في الرواية "ذات" والميزة الرائعة في عمل صنع الله إبراهيم تتمثل في استخدامه مادة الواقع ليؤثث بها عالم الخيال حيث تبدو الحياة الواقعية و عناصرها معروضة في كتابته الروائية ، إن الواقع يتمرأى في عين الخيال أو الكذب الروائي فيما يبدو الخيال و كأنه واقع ملموس.

و مما يزيد الرواية واقعية هو بداية الرواية الساذجة الطبيعية فالرواية تبدأ بمولد البطلة "ذات" لكنها لا تنتهي بانتهاء الرواية و لا تموت في نهاية الرواية ، و بالإضافة إلى ذلك أنه لا يوجد في شخصية ذات شيء يثير الحماس بنوع ما ، و تعاني حياتها من الرثابة و المشاكل التي يعاني منها الملايين من الناس و ليست هي إمرأة استثنائية بل إنسانة عادية شأنها شأن الملايين من المصريين الذين يحاولون للحصول على الحياة الأحسن ، و يعيشون زمن الانفتاح في عهدي السادات و مبارك و يشاهدون تحول مصر من قوة إقليمية عظمى إلى مجرد أمعة تتسول الفتات و يتعرضون للفساد و الاحتيال والنصب والقمع والتخويف والترهيب.

الرواية تمتلأ بالعبارات التي تعكس واقع الحياة الاجتماعية والقضايا و المشاكل اليومية التي تتميز بها حياة أكثر من 95% من المصريين مثلا هجرة العمالة إلى الخليج لكي يحصلوا على الرواتب الأحسن ، لكن هنا في مصر ماذا تفعل الطبقة بدون العمالة من يقوم بتنظيف القمامة المحلية في الصفائح المتروكة أمام أبواب الشقق ، مما يسر للقطط أن تقيم مهرجانات صاخبة تستمر طوال الليل ، و يضطر السكان إلى توخى الحذر أثناء الصعود و الهبوط و يتجلى أن الرواية عمدت إلى إغراق الرواي في ضرب من الحيادية في الحكى فتجلى ذلك في الوصف الكبير ليس للأحداث و لا للحكاية ، بل للواقعية في الأحداث ، لذا إذا نقرأ " ذات " نجد أنفسنا في أجواء نعيشها يوميا ، و نجد أن اللغة قريبة منا ومبنية على الواقعية البعيدة عن لغة السلطة وشعاراتها الطنانة ، والألقاب الضخمة و التعبيرات الصعبة التي لا ضرورة لها ولا مكان لها في رقى الأدب وازدهار الإنسان وأسلوبه وهو مشحون بروح المقاومة وعدم الاستسلام للوضع الموزري، والرواية "ذات" تجعلنا لغيش الأحداث مع بعض فصول الرواية "وإضافة إلى كونك تعيش الحدث تجد نفسك غاضبا محتدا من تلك العناوين والأخبار التي اقتبسها الكاتب من تلك الصحف، لأنك تمنحك فرصة

جيدة لمشاهدة الفساد السلطوي و ارتباط الحكم و المال و نتائج العولمة المقيتة على أرض الواقع ...بل تشاهد الزيف الديقراطية و حقيقة البطش السلطوي المستمر بإسم الديمقراطية المدعومة من الامريكان". وتبدو الكتابة في " ذات " عملية محكومة بظروف الحياة السياسية و الاجتماعية والعوامل الأخرى التي تؤثر على الحياة الإنسانية.

الأسلوب التوثيقي:

يميز هذا الأسلوب صنع الله إبراهيم عن الآخرين من أدباء العرب ، حيث يستخدم صنع الله إبراهيم العديد من المراجع التاريخية لتوثيق عمله الأدبي . و " ذات " تمثل هذا الجانب تمثيلا كاملا و تستعرض الأحداث والوقائع التاريخية والاجتماعية من خلال الشهادات الصحفية والمجلية ، والرواية ذات هي تصور حياة إمرأة مصرية من الطبقة الوسطى خلال حكم الرؤساء الثلاثة جمال عبد الناصر و السادات وحسني مبارك وما وقع من تدهور للأوضاع المعيشة و الانحلال في أخلاق عامة الناس والتعصب الطائفي والصراع المذهبي ، وصنع الله إبراهيم في الرواية " ذات " استعمل "التناص" وهو وضع قصاصات من صحف و نصوص عملية ، و هكذا عرف القارئ بالأوضاع العبثية والتيارات والنقاشات الفكرية المعاصرة ، و قدم مستوى عاليا من التأهل، و يذهب كثير من النقاد أن صنع الله تفرد بهذا النوع من السرد الروائي و حمل الينا منهجا جديدا في السرد والكتابة عبر روايته " ذات " هنا نلقي الضوء على عناوين صحفية استعملها في الرواية. نائب في مجلس الشعب المصري : "عدد الخبراء الامريكان في مصر 1114 خبيرا يحصلون على 297 مليون دولار سنويا و هو مبلغ يفوق ميزانية وزراء التربية و التعليم."[61]

"خبيير اقتصادي : "المعونة الأمريكية ليست غير قروض للشركات المصرية كي تشتري بها منتجات أمريكية "هاتان العبارتان تشيران إلى الوضع الاقتصادي المصري والقضية

[61] ذات، ص76

التعليمية التي تعاني منها مصر في عهد السادات و فيها أيضا إشارة إلى النظام الاقتصادي الاستبدادي.

"فلسطينيون يختطفون سفينة انطاكية في المياه المصرية ، السفير الأمريكي يطلب تدخلا مسلحا واقتحاما عسكريا للسفينة والسلطات المصرية ترفض. مصر تتوصل مع سفراء الدول الذين لهم رعايا على السفينة إلى اتفاق بمقايضه أرواح الرهائن بحرية الخاطفين و تسليمهم لمنطقة التحرير الفلسطينية لمحاكمتهم"[62]

نلاحظ في العبارة المذكورة الوضع الفلسطيني البائس و اضطرارهم السياسي، ومحاولتهم و سعيهم للحرية والاستقلال، و نلاحظ أن كيف الولايات المتحدة وحلافائها الأخرى تدعمها، و كيف مصر و الدول العربية الأخرى تضطر إلى الاستسلام أمام الضغط الأمريكي. صنع الله إبراهيم يستعمل نوع الرحلة التي تشبه الخيط الذي تنتظم فيه سلسلة مشاهد تتكون منها الصورة العامة للمجتمع المصري الحديث ، والنص تشتمل على أخبار كثيرة تخص استيراد أغذية من الخارج و انتاجها المحلي والأغذية الفاسدة التي لا تستحق أن تأكل .

و صنع الله إبراهيم استخدم النص الكولاجي استخداما كثيرا ولا يمكن لأي روائي آخر أن ينافسه في هذا المجال ، تشير إلى ذلك مقالة بعنوان " ذات صنع الله إبراهيم توثيق لحال الوطن" ولا يزال صنع الله إبراهيم متربعا على عرش النص الكولاجي بلا منازع وهذه سابقة لم يألفها الأدب العربي من قبل. وقد أصر صنع الله إبراهيم على مواصلة هذا المشروع في الجزء الأكبر من نتاجه الأدبية .... و لكن نكون منصفين أمام القارئ لا بد و إن نقول إن صنع الله لم يكن يريد تأكيد صحة هذه الأخبار والوقائع المأخوذة من الصحف أو تنفذها و إنما أراد فقط أن يعكس الجو الإعلامي الذي كان سائدا وقت نشر هذه الأخبار كما أراد أن يحيط القارئ علما بمصائر شخصياته والظروف والملابسات الذي أثرت فيهم."[63]

---

[62] ذات، ص 76

[63] ذات صنع الله إبراهيم توثيق لحال الوطن ،

الفصل الثاني:

آراء النقاد في رواية ذات

رواية ذات كما يراها المعاصرون

ذات من أهم رواية صنع الله إبراهيم تناولها النقاد شرقاً وغرباً وقدموا فيها آراءهم وعالجوا أسلوبها وتحدثوا عن الموضوع والسرد وما إلى ذلك من النواحي المهمة ، أعرض فيما يلي آراء النقاد والأدباء المعاصرين في رواية "ذات" وألقي الضوء علي المنظورات المختلفة حيث يذهب البعض إلى أنها حكاية امرأة تمثل جميع النساء المصرية ويتناول من خلالها مختلف القضايا النساءية وهي بؤرة هذه الرواية ويلقي الضوء علي الوضع التعليمي للنساء والصراع بين الزوجين وتحرير المرأة ومكانها في المجتمع فهذه الرواية محاولة المزج بين الأعمال الداخلية والخارجية وكل هذا يتمثل في حياة بطلة الرواية وأحلامها وطموحها وأهدافها، وبعض يقول انها تعالج المجتمع المصري والفساد السائد فيه والإحباط النفسي الذي يعاني منه الأفراد وافساد الإداري الذي شهدته مصر في عهدي السادات وحسني مبارك ، والبعض يري انها رواية تاريخية وثائقية يعرض من خلالها صنع الله إبراهيم بشاعة ذلك العهد في شكل مقتطفات من عوانين الصحف المحلية والعالمية ، لكنه مهما يكن من الأمر أن الرواية تمس قلوبنا وتأثر علي مشاعرنا تأثيرا بالغا حيث تشير اليه المؤلفة ليلي الراعي: "يعيد المرء قراءة كلماته المرة بعد الأخري, وفي كل مرة يكتشف ملمحا جديدا وزاوية مختلفة لم يكن قد أبصرها قبلا في قراءته الأولي."[64]

ويذهب العديد من النقاد إلي أن الكاتب المصري صنع الله إبراهيم لم يستطع، في بعض رواياته أن يصل إلى هذه اللحظة الإبداعية المطلوبة في سرد حكاية تاريخية روائيا وأن يبدي مثل هذه الصلاحية والمقدرة في فنه لكن هذا الرأي مبني علي الخطأ ويرى البعض

[64] ليلي الراعي، قراءة جديدة في كتاب قديم ذات لصنع الله إبراهيم ، جريدة الأهرام، 17/07/2013

بأنه ملتزم بمنهجية خاصة به في مزج التاريخ بالرواية، ويستفيد من تجربة جرجي زيدان من دون أن يخرج عليها كثيرا، ويقترب من بعض الأعمال التاريخية للروائي الشهير لنجيب محفوظ من دون أن يبلغ حساسيّة روايات أخرى لصاحب الثلاثية اتّخذت من حدث تاريخي ما مادة حيّة للكتابة الروائية بما فيها من رموز ودلالات قادرة على إضاءة الحاضر بالماضي، أو على استعادة الماضي بلغة الحاضر. ويقول البعض أنه يبدو بعيدا للغاية عن أسلوب أمين معلوف .

لكن هذا الفكر أيضا مبني علي عدم الأطلاع والتعصب لأن صنع الله إبراهيم يحمل أسلوبا خاصا وايدولوجية مختلفة وله فكره المنفرد الذي يجعله اديبا ذا مكانة عطيمة في مجال الأدب العربي. فكتاباته تشبه اللوحة الفنية الأخاذة التي كلما تأملنا جوانبها وزواياها تبدت إلينا معان وأحاسيس عذبة غابت عنا ونحن نشاهدها قليلا.

وأحسب أن هذا اللون من الكتابات العميقة العذبة يبقي ويدوم ويظل محتفظا بمكانته وقامته الشامخة طويلا.

(ذات) هذه الفتاة الخجلة التي جاءت من قلب الزحام..

شابة مصرية بسيطة..

وجه عادي نراه كثيرا في الطرقات والشوارع والميادين.

وجه لا يلفت نظرنا.. ولا يشد انتباهنا.. ربما لفرط بساطة ملامحة..

مجرد فتاة هامشية ليست إلا..

لكن صنع الله إبراهيم اختارها مع ذلك لتعكس أحداثا عديدة عايشها المجتمع المصري لأكثر من ثلاثين عاما.. ليست فقط أحداثا سياسية ولكن أيضا تفاصيل(ونمنمات) مجتمعية

رسم عبرها الكاتب لوحته الروائية العذبة، لتصبح(ذات) رمزا يصور من خلاله الكاتب المجتمع المصري بكل خصوصياته وملامحه." [65]

وتقول في السطور الأخيرة: "يلتفت إلي جميع الجوانب التي تحيط بالحدث ويعرض لمفرداتها الصغيرة والكبيرة علي سواء, كأنه يؤرخ عبر المشكلات والهموم الاجتماعية للتاريخ.

تأريخ خاص جدا.. صحيح.. لكنه مؤثر وكاشف.

أحببنا ذات..

تعاطفنا مع ضعفها..

تفهمنا انكساراتها وقلة حيلتها..

تلمسنا لها الأعذار والحجج..

وإن كنا في قرارة أنفسنا حلمنا بأن تصبح أكثر قوة وصلابة ولا تكتفي بمجرد البكاء وسكب الدموع والصمت عن كل مايحدث لها.

يمنحنا الكاتب ـ مع ذلك ـ باقة أمل في نهاية الرواية..

وكأنه يقول لنا: هذا المجتمع الساكن.. الهادئ المتمثل في(ذات) لن يظل هكذا طويلا..

سوف يموج يوما ويثور وينتفض باحثا عن حلول لأزماته ومشكلاته الحياتية.. وقد كان..

تحية إلي الكاتب المبدع صنع الله إبراهيم.."[66]

---

[65] ليلي الراعي، قراءة جديدة في كتاب قديم ذات..صنع الله إبراهيم ، الأهرام ، العدد 46244 ، الأربعاء 8 من رمضان 1434 هـ 17 يوليو 2013

[66] المصدر السابق نفسه

وهذه السطور تدل علي حب صاحبة المقالة نحو رواية " ذات" حتي اضطرت إلى تقديم التحية للكاتب صنع الله إبراهيم.

يقول الدكتور فخري صالح مشيرا إلى عمل صنع الله إبراهيم وطبيعة هذا العمل السردية ورؤيته للعالم واسلوبه الساحر:

"يشقّ صنع الله طريقاً مختلفاً في السرد العربي المعاصر، فهو منذ أصدر روايته الأولى «تلك الرائحة» مال إلى اختزال لغته الروائية، والاقتصاد في الوصف والتعبير، والابتعاد، ما أمكنه ذلك، عن العاطفيّة المفرطة، والتزيّد في الكلام عن الشخصيات والأحداث، تاركاً الوصف الخارجي للشخصية والحدث يفصح عن دواخل شخصياته. إنه يتبع نصيحة الروائي والقاص الأمريكي إيرنست همنجواي في اقتصاد لغة الرواية، نازعاً إلى رسم قمة جبل الجليد الغاطس في الماء، بتعبير همنجواي، لكي تدل القمة على ما هو مختفٍ عن أنظار قارئه، مقيمٌ فيما وراء الشخصيات والأحداث. ولعل أعماله الروائية جميعها، مع استثناءات قليلة، تنفذ بحرفية مدهشة هذه النصيحة التي لا تجد لها أتباعاً كثراً في الرواية العربية؛ فالروائيون العرب في عامّتهم يميلون إلى التزيّد في الوصف وضعف رسم الشخصيات والأحداث، والحلول محل الشخصيات الروائية بحيث يفلت خيط الرواية من الكاتب، وتضيع بؤرة الكتابة الروائية. وذلك ما حاول صنع الله أن يتجنبه في كتابته الروائية حيث مال إلى أن يكون الروائي فيه محذوفاً من المشهد الروائي، قابعاً وراء الشخصيات التي تمارس حياتها على الورق، وكأنها حرةٌ بالفعل لا مبدعَ لها ولا محرك من وراء ستار."[67]

فخري صالح ناقد بارز في مجال الأدب العربي المعاصر ويحلل في هذه الفقرة الوصف والتعبير والاسلوب ولغة الرواية ويقارنه مع الأعمال الأخري ويميزه عنهاويعطيه درجة خاصة وفي الفقرة الثانية يشير إلى ميزة اخري:

[67] فخري صالح ، «ذات» صنع الله إبراهيم بين الرواية والمسلسل ، الجريدة "الدستور" ، الأحد، 21 يوليو / يوليه/تموز، 2013 ،

"الميزة الثانية في عمل صنع الله إبراهيم تتمثل في استخدامه مادة الواقع ليؤثث بها عالم الخيال، حيث تبدو الحياة الواقعية وعناصرها معروضةً في كتابته الروائية. إن الواقع يتمرأى في عين الخيال، أو الكذب الروائي، فيما يبدو الخيال وكأنه واقعٌ ملموس.وهو، ولكي يحقق ذلك، زاوج في أعماله بين السرد الروائي والوثيقة، أو أنه في الحقيقة استخدم الوثيقة أو اصطنعها لكي يعيد تشكيلها في سرد يقيم توازياً كاشفاً بين ما يحدث في الرواية وما ينقله من مادة الواقع. ويمكن النظر إلى رواياته: «نجمة أغسطس» و«اللجنة» و«بيروت بيروت» و«ذات» و«شرف»، و«أمريكانلي»، بوصفها حكايات مجازية تعبر بصورة موارية عن الواقع عبر الوثيقة ملقيةً ضوءا ساطعاً على التجربة المصرية المعاصرة من خلال التلاعب بالعلاقة التي تقوم بين الوثيقة والسرد الروائي إذ تتجاور مادة كل منهما وتتداخلان على أرض النص.

لقد قدم صنع الله، بإصراره على استثمار هذا الشكل من الكتابة الروائية (وتكرار هذه التجربة، نصذاً روائيا بعد نص روائي، دون أن تفتر عزيمته)، عرضاً للطاقات التي يختزنها تزويج السرد الروائي للوثيقة والآفاق التي يفتحها ذلك الفعل التقني للرواية العربية".[68]

وقد قدم صنع الله طريقة ذكية في السرد مكنته من تعريف القارئ بالجو السائد العام الذي كانت تشهده مصر في تلك الأعوام دون أن يتحمل متاعب إقحام الأحداث في مسار الرواية ، وقصد أيضاً إلى إنشاء شبكة طويلة من الروابط بين الأخبار المنشورة في الصحف الحكومية والمعارضة وبين حياة ذات، والتي كانت طبيعة عملها قريبة أيضاً من الصحافة والأخبار. فمعظم ما يدور في حياة ذات ومن حولها يوجد له انعكاس ما في إحدى القصاصات، والعكس ربما يكون صحيحاً أيضاً. أي أن الرواية تبقي ضعيفة بدون القصاصات، والقصاصات تبقى غامضة دون الرواية فجاء بتطبيق مدهش ومزج استثنائي

[68] المصدر السابق نفسه

للغاية يشير إلى ذلك ديلشادة مباركوفا:

"صنع الله إبراهيم هذا الإسم الجرئ و الصادق الذى حمل إلينا طريقة جديدة في السرد والكتابة عبر رواياته المذكورة اعلاه دون الخوف من التجريب.

كتب عدداً من الروايات والقصص العلمية للشباب بينها أول رواية من نوعها عن الأحياء المائية للبحر الأحمر. صدرت له ست روايات علمية عن دار الفن العربي فى بيروت منها: عندما جلست العنكبوت تنتظر، إليرقات فى دائرة مستمرة، يوم عادت الملكة القديمة، و فى أدب الرحلات له كتاب "إنسان السد العالي".

نحن أمام رواية صنع الله إبراهيم الجديدة "ذات" (1992م) و الكاتب لم يغير مهنته الشخصية الروائية المركزية فحسب بل جنسها وحلت محل الرجل الصحفي المحترف الذي لا يملك اسما امراة عادية تسمي باسم غريب "ذات". هي اولا الزوجة و الام و ربة البيت وإن كانت تعمل في أرشيف جريدة ما حيث تقضى هي و زميلاتها معظم اوقات العمل في الاحاديث و الثرثرة. يحكي الكاتب سيرة بطلته و يتحدث عن طفولتها و صباها و زواجها وأسرتها و حياتها اليومية حتى عن احلامها الليلية. صنع الله إبراهيم يستخدم نوع "الرحلة" بمثابة الخيط الذى تنتظم فيه سلسلة مشاهد تتألف منها الصورة العامة للمجتمع المصرى الحديث. يتتبع قارئ "ذات" خطا بطلة الرواية في زيارتها للمحلات التجارية و المدرستين العربية والإنجليزية و المستشفى و مركز الشرطة و مكتب الصحة و ميناء الإسكندرية و مدينة زفتى...الخ. ينظر القارئ إلى ما يجرى فى هذه الامكان بعين البطلة. يشير اسم البطلة ذو الدلالة إلى إن الكاتب لم يقصد بها شخصية " فردية وانما نموذجية". إن موضوع الأغذية مكان الصدارة فى الرواية: يحتوى النص الوثائقي على أخبار كثيرة تخص استيراد الأغذية من الخارج و إنتاجها المحلى الأغذية اللوثة وحالات تسمم مستهلكيها."[69]

ويقول في موضع آخر:

[69] ديلشادا مباركوفا ، صنع الله إبراهيم وروايته ذات ، مجلة أقلام الثقافية،

"ترتيب الأخبار والأسماء والاحداث وكل شيء في هذه الأخبار كان مباشرا و بشدة و يفضح الكثير من الحقائق التي ربما لا تلفت اليها عندما تقرأ كل خبر مستقلا ب(ذات) وأعتقد أنه من المهم قراءة كتاب المغفور له (السادات) بعنوان (البحث عن الذات) بعد أو قبل قراءة هذه الرواية .. ربما لنعرف من هي (ذات) و لماذا بحث (السادات) عنها بينما كشف خطاياها عم (صنع الله إبراهيم) و نصيحة لكل من لديهم أمراض الضغط و السكر و السياسة - بتجهيز كل الأدوية الممكنة بجوارهم قبل قراءة الفصول الخاصة بأخبار الصحف المصرية في هذه الفترة ..

فقد فاجأني اكتئاب غريب بعدما انتهيت من قراءتها .. مثل (بيروت بيروت) و (شرف) و(أمري كان لي) و (نجمة أغسطس) و أعمال صنع الله الاخرى.

ونصيحة أخرى لمن هم أقل من 18 سنة أو من هم أكثر ولكنهم لا يتقبلون الحديث عن الجنس في الأدب و كأنه شيء غير موجود في الحياة .. صنع الله إبراهيم يعترف فقط بأنه - موجود و مؤثر - في تركيبات شخصياته .. و هذه هي المسألة.

صنع الله إبراهيم يلجأ فى رواية "ذات" إلى استخدام بعض الاساليب الشكلية والتركيبية للرواية مع ذلك فهو يستند إلى تقاليد رواد الأدب المصرى الحديث و يستقي منها المؤشرات الأدبية والقيام الإنسانية التى لا تزال تحتفظ باهميتها.[70]

يقابل صنع الله إبراهيم القارئ بالظروف العبثية، وبالتيارات والنقاشات الفكرية المعاصرة، ويدعو إلي مستوي عال من التأهل وإلي محاورتها واتخاذ موقف منها.. وهذا إن دل علي شيء إنما يدل علي تفرد صنع الله بهذا النوع من السرد الروائي، لقد قدم أمامنا صنع الله طريقة جديدة في السرد والكتابة عبر رواياته وخاصة «ذات» دون أي خوف من التجريب. وهو لم يغير مهنته الشخصية المركزية فحسب، بل جنسها وأقام مقامها الرجل الصحفي المحترف الذي أهدانا اسم امرأة عادية تسمي باسم غريب «ذات» هي أولا زوجة وأم وربة

[70] المصدر السابق نفسه

بيت وإن كانت تعمل في أرشيف جريدة ما، حيث تمضي هي وصديقاتها معظم أوقات العمل في الأحاديث والثرثرة. يدل اسم البطلة ذو الدلالة علي أن صنع الله إبراهيم لم يقصد بها شخصية استثنائية وإنما أراد أن يقدم شخصية نموذجية يسهل للجميع أن يتابعها. يعرض الكاتب سيرة بطلته ويتحدث عن طفولتها وصباها وزواجها وأسرتها وحياتها اليومية حتي عن أحلامها الليلية وانفعالاتها ومشاعرها وتخيلاتها ويتكلم عن هذه الميزة محمد أبو شعبان حيث يقول:

"ليس في شخصية ذات ما يثير الحماس بأي صورة من الصور، وليس في حياتها غير الرتابة والملل. ولكن ذات إنسانة، وحكايتها تستحق أن تروى، شأنها شأنه عشرات الملايين من المصريين الذين عايشوا حقبة ما سمي بالانفتاح في عهد السادات ومن بعده مبارك. وشاهدوا بأنفسهم تحول بلادهم من قوة إقليمية عظمى إلى مجرد إمعة تتسول الفتات، وتعرضوا بأنفسهم للقمع والتخويف والترهيب والنصب والاحتيال والفساد على نحو لا يتصوره عقل، ليخرج الجميع خاسرين دون استثناء. إنها رواية الألم لا الأمل. بحثت في الرواية عن بصيص أمل فلم أجد. وعلى الرغم من أن أسلوب الكاتب في السرد كان رشيقاً وسلساً حتى ليشعر القارئ أنما يشاهد على الشاشة فيلماً أو مسلسلاً لا أكثر، وعلى الرغم من أن الرواية تحفل بالمواقف الطريفة التي تنبئ عن سخرية عميقة فإن القارئ لا يستطيع أن يبتسم إلا قليلاً. ليست "ذات" رواية تسلية بل رواية تأريخ لمرحلة باهتة من تاريخ مصر، مرحلة يتمنى المصريون لو انشقت أرض التاريخ وابتلعتها، مرحلة انهيار شامل في كل شيء."[71]

حاول صنع الله إبراهيم كلما سمحت الظروف كشف واقع جديد فتظهر كتابة جديدة هناك إهتمام بالتجريب ومحاولة لتجاوز الأجيال السابقة، ويري هذا أمرا هاما وكل جيل من الكتاب حاول القيام به، وحاول ذلك عدد من كتاب جيل الستينات ، سواء حققوا شيئاً أم لم يحققوا، المهم أن الرغبة في التجاوز والتجريب كانت موجودة وكامنة. قد تتغيرالظروف أو

[71] محمد أبو شعبان ، قراءة في رواية "ذات" لصنع الله إبراهيم ، مدونة محمد أبو شعبان ، الثلاثاء، يونيو 2012 ،05

المزاج العام، لكن دائماً هناك كتابة جديدة ربما لملل من الكتابة السابقة، وربما لأن الكتابة السابقة أصبحت عاجزة عن كشف واقع جديد فتظهر كتابة جديدة. الآن نحن نحتاج إلى الاشتباك أكثر بقضايا الواقع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، لكن هذا لا يمنع أيضاً أن تنشغل الكتابة بالذات أو الجسد، فالميدان متسع وكبير ويتحمل أن تكون هناك مئات الأشكال، علماً أن من الصعب وضع قواعد محددة للكتابة.

فرواية «ذات» تعري السلطة الحاكمة في مصر، وتكشف عن تورطها في عمليات سلب ثروات الشعب المصري سواء عن طريق المسئولين الكبار أو عن طريق المؤسسات التي تلاعبت بمصائر الناس البسطاء. ويكفينا أن ندلل علي ذلك بتوظيف الكاتب القصاصات الصحفية في روايته ليستعيض عن مشكلة الواقع بفتح عالمه الروائي علي واقع حقيقي تميز بالمقامرة والخداع، بحثا منه عن طريقة جديدة لإبراز موقفه من الواقع العربي وشوقا إلي إقامة صلة وثيقة بين الجنس الروائي الناهض علي التخييل والواقع المعيش. ولتلك الظاهرة علاقة واضحة بتقنية الإلصاق أو الكولاج التي وظفها الفنانون التكعيبيون في الرسم والنحت وعمقتها الحركة الدادائية التي اعتبرت حركة مضادة للفن توصل كل من بيكاسو وبراك بالكولاج لإلصاق أوراق ملونة وشرائط من القماش وقطع معدنية وغيرها من المواد المتنافرة إلي إنشاء لوحات زيتية ونحوت مخصوصة تبرز الوحدة القوية بين الجانب الفني والجانب الواقعي.. وهذا كله نلاحظ في رواية ذات.

تقول أمينة قاسم:

> "موعدنا اليوم مع رواية من الروايات الطويلة. تعتبر رواية ذات للكاتب صنع الله إبراهيم من الروايات التأريخيه ، فالرواية تأرخ التاريخ الحديث للنصف الاخير من القرن الماضى "القرن العشرون."فذات وهى بطل الرواية هى رمز لكل الشعب المصرى فى الطيبة و البراءة و ايضا عندما لا ترى أمامها بوضوح أو عندما لا

تسطتيع أن تجد الكلامات بسهولة لتعبر عما بداخلها لو تاملت ذات وقت القرأة لتجدها أمك أو عمتك أو خالتك أو جارتك فذات بتسلسل احداث الرواية هى كل أسرة مصرية مرت بتلك التجربة الحياتية خاصة لو كانت من الطبقة الوسطى " طبقة الموظفين" الطبقة إلى تحسب كل خطواتها ولا تحب المفاجات فى حياتها فكل قرش يدخل للأسرة معروف إتجاه ولا يجوز التفكير فى إتجاه آخر حتى لا يتم تعكير صفو الحياة البسيطة.

أكثر ما لفت انتباهى فى هذه الرواية هى الطريقة التي أرخ بها صنع الله إبراهيم الرواية فهو لم يعتمد على رأيه الشخصى بل أرخ الأحداث التى مر بها الشعب المصرى عن طريق المنشطات الرئيسيه فى الصحف و الجرائد المصريه فى ذلك الوقت. منذ عام 1952 و حتى اوائل التسعينات مرورا بحكم الزعيم جمال عبد الناصر و الزعيم السادات و حتى منتصف حكم الرئيس مبارك لم يقف الكاتب و عرض وجهة نظره صريحه لكنه وضح تاثير كل حكم على حياة ذات و التى هى بالتالى رمز للشعب المصر"[72]

قام صنع الله إبراهيم باستخدام في رواية "ذات " الكثير من الأخبار المنشورة فى الصحف والمجلات والجرائد المختلفة جعل منها تتقاطع مع مسيرة حياة (ذات) التي تعمل فى ارشيف إحدى الصحف ، هذه الطريقة النادرة والحيلة الذكية ساعدت القارىء على فهم الحقائق الأرضية و التعرف على الجو العام الذى واجهته مصر فى تلك السنوات دون أن يثقل متن النص الروائى بتلك الأحداث والوقائع الاجتماعية والسياسية ، تقول ديلشادا مباركوفا:

" استخدم صنع الله إبراهيم في نصه الروائي الخبر الصحفي والوثيقة والإعلان والتحليل الخبري والبحث والدراسة العلمية واليوميات ،والمذكرات الشخصية وغيرها

[72] أمينة قاسم ، كتاب فى كلمتين .. " ذات " للكاتب صنع الله إبراهيم ، شبكة صدي بورسعيد الإخبارية ، الأحد 9 فبراير 2014

من المعطيات الأخرى التي خلقت بحق نصاً كولاجياً يقترب كثيراً من اللوحة الكولاجية المعاصرة التي تحاول أن تتمترس خلف أكبر قدر ممكن من المعلومات والأفكار ووجهات النظر المتعددة، وما يزال صنع الله إبراهيم متربعاً فوق عرش النص الكولاجي دون منازع وهذه سابقة لم يألفها الأدب العربي من قبل، وقد أصر صنع الله إبراهيم على مواصلة هذا المشروع في الجزء الأكبر من نتاجاته الأدبية. ولكي نحيط القارئ علماً نقول إن صنع الله إبراهيم لم يكن يريد تأكيد صحة هذه الأخبار والوقائع المستلة من الصحف أو تفنيدها، وإنما أراد فقط أن يعكس الجو الإعلامي الذي كان سائداً آنذاك، كما أراد أن يحيط القارئ علماً بمصائر شخصياته والظروف والملابسات التي أثّرت فيهم. ولكننا لو قرأنا روايات صنع الله إبراهيم بشكل معمق لاكتشفنا أنه يذهب أبعد من ذلك بكثير حتى ليغدو الجو الإعلامي الذي يتحدث عنه شيئاً ثانوياً قياساً بمجمل أحداث التاريخ المصري الذي يعكسه صنع الله إبراهيم . ومن خلال هذه الطروحات يتجلى البعد الفكري لصنع الله إبراهيم الذي ينتصر دائماً للفقراء والمسحوقين في كل مكان. ففي رواية ذات يعّري الطبقة الحاكمة في مصر، ويكشف عن تورطها في عمليات سلب ثروات الشعب المصري سواء عن طريق المسؤولين الكبار أو عن طريق المؤسسات التي تلاعبت بمصائر الناس البسطاء".[73]

مما لا شك فيه أن فرانز كافكا له تأثير بالغ علي أسلوب صنع الله إبراهيم وهو يشتهر بين النقاد باتباع اسلوب فرانز كافكا وذلك كله يتجلي في أعماله وأساليبه و معقولياته، هكذا تأثر الكثير من الأدباء في الوطن العربي، ولا سيما خلال الستينيات والسبعينيات بالاسلوب الكافكوي بشكل مكثف بحيث تعددت أعماله المترجمة إلى العربية، كما كثرت ترجمات بعضها وطبعاتها. لقد عُرفت أعماله وقُرئت كثيراً من القراء العرب حين وجدت منهم استقبالاً غير عادي، ولعلنا لا نبالغ إذا ما قلنا إن العديد منها صار شعبياً باستحقاق. بل إن كافكا وأعماله، وما أفرزته أو ما كانت قد أفرزته من قبل أن تعبر البحار إلى العرب، مما يُسمى

[73] ديلشادا مباركوفا ، صنع الله إبراهيم وروايته ذات ، مجلة أقلام الثقافية

الكافكوية، عوالمَ ومفردات هذه العوالم وأسلوباً أو أساليبَ، كادت كلها تصير موجة أو موضة لا في ساحة الكتابة الأدبية وبين نخبة الكتاب والمثقفين، بل بين قرّاء الأدب العاديين.

حينمااستيقظ جريجورسازما ذات صباح بعد ليلة من الأحلام المزعجة وجدأنه تحول فى سريره إلى حشرة بشعة. وتساءل بينه وبين نفسه:ماذا حدث لى؟ لم يكن ذلك حلما.

بهذه البداية المخيفة والغريبة استهل فرانز كافكا رائعته الشهيرة The Metamorphosis التى ترجمت إلى العربية تحت عنوان"المسخ" أو "التحول" واعتبرت منذ صدورها فى مطلع هذا القرن أصدق تعبير عن غربة إنسان هذا الزمان واصبح كافكا من الرواد المبدعين الذين جسدوا هذا الأغتراب فى معظم أعماله بصورة حادة ومكثفة ومؤلمة .

هذا التحول المؤلم والغريب هو الفكرة الرئيسية فى رواية صنع الله إبراهيم الأخيرة "ذات". وطبيعى أن يتصور البعض لأول وهلة أن"ذات" ربما كانت سيرة ذاتية للمؤلف أو لإحدى شخصيات الرواية ، ولكن سرعان مايتبين القارئ (فى السطر الأول من الرواية) أن ذات هو اسم بطلتها التى يصور لنا المؤلف من خلالها(ومن خلال ماتعرضت له من مواقف فى حياتها) مرحلة من أهم مراحل التحول التى مرت بها مصر منذ منتصف الستينات حتى الآن "[74]

وقد تغيرت العلاقات بين الجنسين تغييرا في إطار الأسرة المصرية والطرق المختلفة التي تتفاوض من خلالها البنات والنساء في المجتمع وتقيم بإعادة التفاوض بشأن هذه العلاقات وهذه الحقيقة الاجتماعية لم تزل غائبة عن أعين الناس ولم يلاحظها أحد في العديد من الاحتجاجات الثقافية لحياة الأسرة المصرية الحديثة. في هذا القسم، سوف يركز الإهتمام على تصوير شامل للعلاقات بين الجنسين المتغيرين. سأناقش وجهات نظر كل من الأجيال

[74] فتحى أبو رفيعة ، ذات" بين "مسخ" كافكا ونعى الحلم الضائع ، http://www.aburafia.com

الأكبر سنا والأصغر سنا، وأنا بعد ذلك أحدد لحظات في سيناريو حيث تم جلب هذه التغييرات إلى الواجهة. أم ذات، الذي أعربت من وقت مبكر عن ازدراءها في تورط ذات في سوق العمل، ولم تنقطع عن المقارنة بين كبار السن والأجيال الشابة. كان لها موقف واضح من البداية، إن الرجال للخارج والزوجة نموذج ربة منزل. كان تعليم الفتاة من وجهة نظرها ضياعا للوقت، وحاولت توجيه ذات إلى دراسة الاقتصاد المنزلي طوال هذه السلسلة، وقالت انها تدرب حفيدات لها، لتكون ربة بيت ممتازة على غرار نفسها. التدريب، ومع ذلك، لا يتضمن أي مناقشة حول العلاقات الجنسية يقول فتحي أبو رفيعة:

"وبعد الزواج وتكوين عش الزوجية البسيط (فى عمارة العرسان) فى أحد أطراف حى مصر الجديدة بدأت الأحلام الصغيرة تتباعد شيئا فشيئا. لم يكن عبد المجيد قد أتم تعليمه الجامعي ، وسرعان ماأدرك كلاهما أنه لاحاجة لهاأيضاأن تستمر فى كلية الأعلام (كى تتفرغ لتربية الأبناء). لكنهما سرعان ماأدركا أن مطالب الحياة لن تسمح بهذا الترف فالتحقت بعمل إداري فى إحدى الصحف. وتحولت ذات الطموحة الحالمة إلى ربة بيت مطحونة فى العمل وفى المنزل ، وأصبحت تواجه كل يوم بتحد جديد يباعد بينها وبين أحلامها. لقد كان وقع حركة طفرة السبعينات أشد مما تهيأت له ذات ومن معها (سكان عمارة العرسان :الضابط والمهندس والموظف بالزراعة ومدام سهير ساكنة الشقةالمفروشة). وتموج العمارة بتغيرات سريعة وسكانها يلهثون وراء متطلبات التغيير. ودائما تتسع الهوة بين الحلم والواقع. "فالحلم الرأسمالي الذى كان يبدو قريب المنال فى ظل اشتراكية عبد الناصر ، صار للعجب مستحيلا فى عهد رأسمالية السادات."[75]

صنع الله إبراهيم يعد من أكثر الروائيين حساسية وأعمقهم فكرا وأبرز رموز جيل الستينيات في الأدب المصري وهو يميل إلى الفكر الاستقلالي ويحرص علي الاستقلالية عن المؤسسات والنقابات بكل أشكالها وهو يعلم معرفة جيدة أن الرواية لا تحتمل نصاً تاريخياً

[75] فتحي أبو رفيعة، ذات بين مسخ كافكا ونعي الحلم الضائع ،

بالمعنى العلمي المتداول المعروف لكتابة التاريخ، فعلى الرغم من المحاولات الناجحة التي قام بها بعض الروائيين لإعادة صوغ التاريخ في اطار روائي، إلاّ أن الحدث القديم يحتاج إلى مادة مخيّلة إبداعية راقية ومتمكّنة من أدوات التعبير الفني، لكي يمكن التحوّل إلى نصّ أدبيّ مشغول بحرفية لغوية وسردية قادرة على جذب القارىء وتستطيع إثارة المتعة لديه في استعادته زمنا ومدنا ورجالا وأحداثا ولكي يجد القراء الواقع والخيال والحقيقة والمتعة في وقت واحد.

وصنع الله إبراهيم يعد من الكتاب الذين يعكس مشروعهم الروائي توثيقا للحياة المصرية، حيث يركز في كثير من رواياته علي التوثيق كما نري واضحا في رواية «ذات» التي استخدم فيها قصاصات الصحف، وفي رواية «القانون الفرنسي» التي استخدم فيها العديد من المراجع التاريخية لتوثيق فترة الحملة الفرنسية علي مصر التي غيرت مسار التاريخي المصري إلى حد كبير. وبلغت شهرته إلى غاية حتي تخيرت مريم نعوم رواية «ذات» لكتابة سيناريو وحوار عنها في مسلسل جديد بنفس العنوان تقوم بإخراجه كاملة أبوذكري، واذا نستعرض رواية «ذات» نستطيع أن نقدم بعض الإجابات عن عشرات علامات الاستفهام التي طرحتها الرواية.

يقول الدكتور عادل فريجات:

"وتحضرني هنا وجاهة المقارنة ما بين هذه الرواية التي نتوقف عندها في هذه المقالة، ورواية صنع الله إبراهيم «ذات»، فالمشابهة بينهما قوية جداً. وهي مشابهة تقود إلى إغراء الحكم على الروايتين بأنهما روايتان تسجيليتان، على الرغم من أن الكاتب قد حذق بث الرؤية الخاصة في ثنايا كل من عمليه، وهي رؤية منحازة إلى جانب الطبقات المسحوقة في المجتمع، والي صف قيم الحق والعدل والمساواة بين الناس جميعاً. وقد رأى الناقد صلاح فضل أن يدرج أسلوب صنع الله إبراهيم في روايته «ذات» ضمن الأسلوب السينمائي، وذلك في كتابه المعروف «أساليب السرد

في الرواية العربية» فصنع الله إبراهيم يعدل شرط (جوته) للأعمال الروائية الناجحة القاضي بأن تتراوح ما بين نظرة واحدة في كتاب، ونظرتين إلى الحياة، يعدلها ليجعل النظرتين متساويتين، فهم يتقن الرواية التسجيلية ويقيم عالمه المتخيل على جذاذات الواقع الخارجي، كما تقدمها الصحف من جانب، وعلى حيوات أبطاله، كما يتمثلهم من جانب آخر.

بيد أن الناقد صلاح فضل قد لاحظ أن هذا الحشد الهائل للمعلومات الصحفية السلبية الفضائحية عن المجتمع المصري في رواية «ذات»، خلال عقدين من القرن الماضي، بذلت أمام القارئ بشكل منفصم عن مصير الشخصيات والأحداث الروائية، ونراه يحذر النقاد من الانسياق وراء تلك الصور المفاجئة والمزرية للمجتمع، للوصول إلى اليأس المطبق من التقدم والازدهار خلوصاً إلى موقف عدمي يراه جديراً بالتنديد بيد أن هذا التحذير النقدي مما قد توحي به رواية «ذات» لهذا الكاتب لايطعن بموقفه الأيدوليجي والسياسي الذي عبر عنه في خطابه أمام لجنة الحكم التي منحته جائزة الإبداع الروائي للعام (2003)، فهو رفض الجائزة احتجاجاً على موقف حكومته إزاء ما يجري حوله من أحداث محلية وعربية، قائلاً بالحرف الواحد: «أعلن اعتذاري عن عدم قبول الجائزة لأنها صادرة عن حكومة لاتملك في نظري مصداقية منحها، من حكومة تقمع شعبنا، وتحمي الفساد، وتسمح للسفير الإسرئيلي بالبقاء في مصر، في حين أن إسرائيل تقتل وتغتصب في فلسطين المحتلة."[76]

[76] . د. عادل فريجات ، قراءة في رواية «أمريكانلي» لصنع الله إبراهيم، مجلة "تشرين" ،

ختام البحث

قد شهد النصف الثاني من القرن العشرين في البلدان العربية تغيرا سياسيا محيرا وعلت الأصوات القوية ضد الإستعمار الغربي وسياساتها المستغلة في الدول الغربية وقامت الثورات والإنقلابات الشعبية ضد الظلم الخارجي والإستبداد الأجنبي في كل ناحية من نواحي العالم العربي وساهم الآلاف من الكتاب والأدباء من خلال كتاباتهم وأفكارهم أن يحكموا هذه الحرية الشعبية التي حصلت في المجتمع بعد إنتظار طويل، ولا يزال عدد كبير من أمثال هذه المثقفين يبذلون جهودهم في الإيقاظ وتنوير المجتمع، أما صنع الله إبراهيم فهو أحد رواد هذه الثورة العقلانية وعصره أيضا عصر التغير السياسي والتحول الاجتماعي، حينما ولد صنع الله إبراهيم رأي الأنجليز كانوا يحكمون بلاده مباشرة أو غير مباشرة لكن مصر كانت تحت سيطرتهم وكانوا يستغلون مواردها أمام عينيه، فتذمر كجميع المصريين من انتشار النفوذ الأجنبي في كل ناحية من نواحي مصر من محلات تجارية ومقاهي ودور سينما إلى المدارس والكليات وهكذا أحبط وتململ من السيطرة الإقطاعية التي كانت تمتص دماء الفقراء المصريين فرغب رغبا شديدا أن يتخلص من سيطرته كما ولدت المشاعر والانفعالات ضد الاستعمار الغربي الذي سبب في المصريين الإحباط النفسي والقلق الذهني وانتشر في المجتمع عدم الاستقرار السياسي وكل هذا ينعكس في حياة صنع الله إبراهيم الشخصية والأدبية وهو يكتب ضد كل نوع من التمييز وهو يحلم بمجتمع عقلاني عادل، المجتمع الذي لا يفرق بين الأسود والأبيض ولا يميز بين الناس على أساس الأيدولوجية، وهو يريد من خلال كتبه أن يغير العقلية المصرية وهو يرى ويطالب من الحاكم بأن لا يدير البلاد "كسوبر ماركيت" بل يجب على الحكومة أن تراعي مصالح ورفاهة المجتمع وأن تكون قادرة على أن تدرك بحاجاتهم على جميع المستويات، هذا هو

السبب أن صنع الله إبراهيم أصبح حساسيا إلى هذه الغاية تجاه مجتمعه، ونحن اليوم نحتاج إلى نفس الحساسية في كتابنا وأدبائنا ونحتاج أيضا إلى أن نعرفهم بين الجماهير لكي يستفيدوا من حريتهم الفكرية ووعيهم السياسي وحساسيتهم الإجتماعية، هذا هو السبب أني إخترت صنع الله إبراهيم واتخذت روايته "ذات" موضوعا لبحثي الجامعي.

أشكر الله سبحانه أنه قد وفقني من إكمال هذا البحث وأوصلني إلي نهاية الأطروحة ويسر لي كلما إحتجت إليه من الوسائل والمواد الضرورية من أجل إعداد وتقديم هذا البحث، وبعد ذلك أشكر مشرفي الدكتور محمد قطب الدين ـ حفظه الله تعالى ورعاه ـ الذي بذل كل مجهوداته في تقديم النصائح المفيدة وساعدني في كل مقام يحتاج إلى مزيد من الوضوح في إعداد هذا البحث.

وأشكر الله والدي ووالدتي وأسرتي وجميع أصدقائي لمساهماتهم العظيمة وأدعو الله سبحانه أن يتقبل هذا العمل المتواضع ويستفيد منه العامة والخواص ويوفقنا جميعا لما فيه الخير والسعادة وبالله التوفيق وهو المستعان وصلي الله علي خير خلقه محمد وآله أجمعين.

المراجع والمصادر

- أنيس الخوري المقدسي، الاتجاهات العربية في العالم العربي الحديث، كلية العلوم والآداب بجامعة بيروت الأمريكية، الطبعة الأولي ، بيروت 1952م.
- جاد طه، معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي القاهرة، الطبعة الأولي، 1998م.
- جرجي زيدان، تاريخ مصر الحديث، مكتبة مكبولي، القاهرة، الطبعة الأولي 1991م.
- جلال عامر، مصر علي كف عفريت، دار العين للنشر مصر ، دار العين للنشر مصر ، الطبعة الأولي ، 2009م.
- حبيب أحمد ، نهضة الشعوب الإسلامية، دار النيل للطباعة القاهرة 1952م.
- حنا فاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية 1987م.
- حورية الظل،الفضاء في الرواية العربية الجديدة، مخلوقات الأشواق الطائرة لادوارد الخراط نموذجا، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع ،سورية دمشق 2011م.
- ساطع الحسري، العروبة أولا، مطبعة دار العلم للملايين ببيروت، الطبعة الأولي سنة 1955م.
- شكيب أرسلان، حاضر العالم الاسلامي، [أربعة أجزاء]، مطبعة عيسي البابي الحلبي وشركائه القاهرة، 1933م.
- صنع الله إبراهيم، وردة، دار المستقبل العربي، القاهرة، 2000م.
- صنع الله إبراهيم، أمريكانلي، دار المستقبل العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، 2004م.
- صنع الله إبراهيم ، تلك الرائحة ، دار الهدى للنشر، الجزائر ،الطبعة الثانية، 2003م.
- صنع الله إبراهيم، شرف، دار الهلال، مصر، الطبعة الثانية، 1997م.
- صنع الله إبراهيم، بيروت بيروت، دار المستقبل العربي، القاهرة ،الطبعة الثانية 1998م.
- صنع الله إبراهيم، برلين ٦٩، دار الثقافة الجديدة القاهرة، الطبعة الأولي 2014م.

- صنع الله إبراهيم،الجليد ، دار الثقافة الجديدة القاهرة، الطبعة الأولي،2011م.
- صنع الله إبراهيم، اللجنة، دار المستقبل العربي، القاهرة، الطبعة الثانية ،1997م.
- صنع الله إبراهيم، العمامة والقبعة ، دار المستقبل العربي القاهرة ، الطبعة الأولي 2008م.
- صنع الله إبراهيم، القانون الفرنسي، دار المستقبل العربي القاهرة، الطبعة الأولي، 2008م.
- صنع الله إبراهيم ، ذات ، دار المستقبل العربي القاهرة، الطبعة الثانية 1998م.
- صنع الله إبراهيم،(كتبها بالإشتراك مع رؤوف مسعد و كمال القلش)، إنسان السد العالى، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الاولي ،
- صنع الله إبراهيم ، نجمة أغسطس، دار الهدي للنشر ، الجزائر، الطبعة الأولي 1974م.
- صنع الله إبراهيم، التلصص، دار المستقبل العربي القاهرة ، الطبعة الأولي 2007م.
- صنع الله إبراهيم ، يوم عادت الملكة القديمة ، دار الثقافة الجديدة، مصر ، الطبعة الثالثة 2015م.
- عبد العزيز ضويو، التجريب في الرواية العربية الجديدة ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد شارع الجامعة، الطبعة الأولي 2014م.
- فخري صالح، في الرواية العربية الجديدة ، دار العين للنشر، الطبعة الأولي 2010م.
- محمد أمين العالم، محمودأمين العالم- ثلاثية الرفض والهزيمة.دراسة نقدية لثلاث روايات لصنع الله إبراهيم، دار المستقبل العربي شارع بيروت القاهرة، الطبعة الأولي 1985م.
- محمد صبري السربوني، تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث ، مكتبة مدبولي القاهرة،1996م.

الجرائد والصحف والمجلات

- أحمد فاضل ، الروائي صنع الله إبراهيم..المتنبئ في تلك الرائحة ، جريدة المدي، 25/08/2013.
- أحمد منصور، الروائى الكبير صنع الله إبراهيم فى حوار لـ«اليوم السابع»، مجلة "اليوم السابع".
- أحمد المديني، عودة إلى صنع الله إبراهيم في "امريكانلي". مأزق الرواية بين توثيق التاريخ والسرد الفني للذات ، جريدة "الحياة" ، 09/02/2004.
- آية ايهاب، صنع الله إبراهيم: ظروف الحياة وأمزجتنا تحكم الكتابة، جريدة البيان، 07/08/2015.
- جمال القصاص، الكاتب المصري صنع الله إبراهيم يرفض جائزة ملتقى القاهرة للرواية العربية، جريدة الشرق الأوسط، العدد9096، 24/10/2003.
- جهاد عقل، صنع الله إبراهيم المقاوم الحر، الحوار المتمدن، العدد 1038، 05/12/2004.
- ديلشادة مباركوفا، صنع الله إبراهيم وروايته "ذات" ، مجلة أقلام الثقافية.
- «ذات» صنع الله إبراهيم.. توثيق لحال الوطن، جريدة مصرس، 25/10/2011م.
- الصحبي العلاني، صنع الله إبراهيم.. رواية "الجليد" بلغة أهله، الجزيرة.نت، http://www.aljazeera.net.
- صلاح صيام ، «واحات» صنع الله إبراهيم تفضح تاريخ المعتقلات الناصرية، جريدة الوفد، 12/12/2015م.
- صلاح الدين مصطفي، الأديب المصري صنع الله إبراهيم يدين اعتقال الطلاب والمفكرين والصحافيين في السودان ، موقع النيلين، 08/06/2016.
- صنع الله إبراهيم يراوغ بين حاضر وماضى سلطنة عمان، منتدي الكتاب العربي، 12/08/2000.

- عبد الله السالم، رواية أمريكانلي : صنع الله إبراهيم، مدونة وسوم، 08/02/2009.
- عبد الرحمان سعيد، رواية وردة .. صنع الله إبراهيم، مدونة عبد الرحمان سعيد، 27/03/2015.
- علاء مصباح، بيروت بيروت لـ صنع الله إبراهيم، مدونة علاء مصباح، 09/04/2009.
- فتحي ابو رفيعة، "ذات" بين "مسخ" كافكا ونعى الحلم الضائع، صفحة فتحي أبو رفيعة.
- فخري صالح، «ذات» صنع الله إبراهيم بين الرواية والمسلسل ، جريدة الدستور، 21/07/2013.
- ليلي الراعي،قراءة جديدة في كتاب قديم ذات لصنع الله إبراهيم ، جريدة الأهرام، العدد46244. ،17/07/2013.
- محمد عيد العريمي، السياسة والرصاصة والجنس في رواية: " وردة " لصنع الله إبراهيم، الموقع الشخصي للكتب محمد عيد العريمي،
- ممدوح فراج النابي، صنع الله إبراهيم الروائي المشاكس وصانع الأزمات، صحيفة العرب، 03/07/2016.
- ممدوح فراج النابي، رواية صنع الله إبراهيم « 67 » المنسية، جريدة العرب، 04/03/2016.
- منى أبوالنصر، صنع الله إبراهيم: أتابع «ذات» ..ونسيت الرواية التى كتبتها عنها، جريدة الشروق، 25/07/2013.
- موقع ديوان العرب، صنع الله إبراهيم كاتب روائي وقصة قصيرة ومسرحي، ديوان العرب، 03/05/2005.
- ناصر صالح الغيلاني ، قراءة في رواية وردة لصنع الله إبراهيم "صورة الإنسان والمكان بلا إحساس " ، جريدة الوطن / العدد 7555 /7 فبراير
- هانية عَسوَد، رواية "وردة" .. للكاتب صنع الله إبراهيم، مدونة رمانة، 09/10/2013

- ياسمين الغمري، صنع الله إبراهيم: «برلين 69» ساخرة تحطم التبوهات الفكرية في العالم، مجلة البديل، 09/08/2014.
- يوميات الواحات" مذكرات صنع الله إبراهيم الأدبية والسياسية في سجن الواحات، مجلة "الغد"،16/02/2005.

English References

Abdallah F. Hassan , Changing News Changing Realities: Media Censorship's Evolution in Egypt , reuters Institute For The Study of Journalism , University of Oxford , 2013

Anthony Calderbank (Translator) , Zaat by Sonallah Ibrahim , The American University In Cairo Press , Egypt , 2004

Derek Hopwood, Egypt: Politics and Society 1045-1981, George Allen and Unwin [publishers] Ltd, 1982,

Samia Mehrez, Egypt's Culture Wars Politics and Practice, Rutledge Taylor and Francis Group 711 Third Avenue ,New York,2008

Samia Mehrez, Egyptian Writers between History and Fiction, The American University in Cairo Press 2005

Shiv K. Kumar and Keith Mckean , Critical Approaches To Fiction, Atlantic Publishers and Distributions New delhi, 2014

Newspapers and Magazines

Adam Shatz , Black, not Noir , London Review of Books , March 2013 Issue

Dina Hussein , ‘Zaat’ and her bathroom – and television , Mada Masr an independent media blog , 07/08/2013

Emily Smith , Things American: Sonallah Ibrahim’s Fiction of Politics and Emptiness , American Short Fiction , 08/10/2013

Frederick Decknatel , Egypt’s Conscience: The Genius of Sonallah Ibrahim , The Daily Beast , 05/09/2013

Mlynxqualey , Sectarian Strife in Sonallah Ibrahim’s 1992 Novel, Zaat , Arabic Literature in English , 10/07/2016

Robyn Creswell, Sonallah Ibrahim: Egypt’s Oracular Novelist, The New Yorker, 20/08/2013

Sara Aridi , Beirut, Beirut’ follows one man’s search for ideals in a war-torn country , The Christian Science Monitor , 03/09/2015

Yasmine El Rashidi , Egypt in the Raw , The New York Review of Books , 03/04/2013

Yasmine El Rashidi , Egypt: The Rule of the Brotherhood , The New York Review of Books 07/02/2013

محتويات البحث

المقدمة..... 2

الباب الأول:..... 5

حياة صنع الله إبراهيم وعصره..... 5

الفصل الأول:..... 6

مولده ونشأته---------- 6

مولده ونشأته:_____ 7

الفصل الثاني:..... 12

أيدولوجيته وبيئته وتأثيرهما على كتاباته---------- 12

أيدولوجيته وبيئته وتأثيرهما على كتاباته_____ 13

المعركة الثقافية_____ 14

الفكر الكافكوي وصنع الله إبراهيم_____ 22

الفصل الثالث:..... 25

المجتمع المصري منذ عام 1952م---------- 25

مصر منبع الحضارات والثقافات_____ 26

وادي النيل والدلتا_____ 26

الصحراء الغربية_____ 27

الصحراء الشرقية_____ 27

شبه جزيرة سيناء_____ 27

ما قبل 1952_____ 27

الدولة القديمة_____ 28

العصر الذهبي_____ 28

عصر البطالمة_____ 28

الدولة الإسلامية _____ 29
الفاطميون_____ 29
الدولة الأيوبية_____ 29
دولة المماليك_____ 29
الدولة العثمانية_____ 30
حملة نابليون_____30
محمد علي_____ 31
الاحتلال البرطاني_____ 33
الضباط الأحرار وثورة 23 يونيو 1952_____33
مصر من الناصر إلى مبارك_____ 34
التغير في السياسة الخارجية_____37
الأمية وقضية التعليم في مصر_____42
أهمية التعليم ودوره التاريخي في تنمية الأفراد _____43
الباب الثاني:.....46
استعراض أهم أعمال صنع الله إبراهيم..... 46
استعراض أهم أعمال صنع الله إبراهيم_____47
تلك الرائحة (1966)_____ 54
إنسان السد العالي (1967)_____ 57
نجمة أغسطس (1974)_____58
اللجنة (1981)_____ 60
يوم عادت الملكة القديمة (1982)_____64
بيروت بيروت (1996)_____ 65
العمامة والقبعة _____ 67
شرف (1996)_____70
وردة (2000)_____ 72
القانون الفرنسي _____76
التلصص (2007) _____78

الجليد (2011) _____ 81
أمريكانلي _____84
برلين 69 (2014) _____86
الباب الثالث:..... 89
المتجمع المصري كما ينعكس في رواية "ذات".....89
الفصل الأول:..... 90
النقد الاجتماعي---------- 90
النقد الاجتماعي_____ 92
الفصل الثاني.....100
القضايا النسوية ---------- 100
القضايا النسوية_____ 101
الفصل الثالث:..... 105
الأوضاع السياسية----------105
الأوضاع السياسية_____106
الباب الرابع:..... 111
صنع الله إبراهيم في مرآة النقد..... 111
الفصل الأول:.....112
أسلوب رواية ذات ---------- 112
الواقعية:_____ 116
الأسلوب التوثيقي:_____ 119
الفصل الثاني:..... 121
آراء النقاد في رواية ذات---------- 121
رواية ذات كما يراها المعاصرون_____ 122

ختام البحث..... 137

المراجع والمصادر..... 139

الجرائد والصحف والمجلات..... 141

English References ----------143
Newspapers and Magazines ----------144
محتويات البحث.....145

EGYPTIAN SOCIETY IN THE NOVEL "ZAAT" BY SONALLAH IBRAHIM

DISSERTATION SUBMITTED TO THE JAWAHARLAL NEHRU UNIVERSITY IN PARTIAL FULFILMENT OF THE REQUIREMENT FOR THE AWARD OF

THE DEGREE OF

Master of Philosophy

By
Mohd Ahmad Jafri

Under the supervision of
Dr. Md. Qutbuddin

Centre of Arabic And African Studies
School of Languages, Literature And Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067